المواجهة

المثقفون والإرهاب





مجموعة من كبار الكتاب والمفكرين





مجموعة من كبار الكتاب والمفكرين

المثقفون والارهاب

الارهاب


الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

من يملك سلطة الفصل بين الصحيح والباطل ؟

د٠ حسين أحمد أمين

من الأهمية بمكان أن نميز بين المعرفة والرأى ٠ فالمعرفة قد تكون فى وقت من الأوقات غائبة ، (كجهل البشر فى الماضى بقابلية الذرة للانشطار) ، أو قاصرة (كجهلنا اليوم بسبل علاج السرطان أو الايدز) ، أو حتى خاطئة (كظن الأوائل أن الشمس هى التى تدور حول الأرض) ٠ غير أنها دائما فى سبيل التطور والتقدم والتصحيح حتى تغدو ثابتة مثبتة لا يختلف حولها اثنان ٠٠ أما الرأى فغالبا ما يتأرجح بين الصحة والفساد ، والتصديق والتكذيب ، وكثيرا ما يكون غير قابل لأن يجتمع عليه الناس ، وعرضة لأن تتحكم فيه الأهواء والمصالح ، وأن يكون موضع الجدل والنزاع ، والخصومة والقمع ، والارهاب والقتل ٠

صحيح أن الجدل والنزاع والارهاب قد ثار أحيانا ، فى الماضى ، حول بعض المعارف العلمية (كما فى حالة نظرية جاليليو) ٠ غير أنه ليس أمرا نادر الحدوث فى التاريخ فحسب ، بل والأرجح أن يكون قد انقضى اليوم الى غير رجعة ، بحيث بات الخلاف والخصومة الآن مقصورين على الآراء دون المعارف ٠

والعلوم والمعارف القطعية ليست فى حاجة الى شن حملات صليبية لابادة غير المصدقين للنتائج التى توصلت اليها ٠ بل هى

على استعداد كامل لتعديل هذه النتائج متى نجم عن تطور سـبل البحث والتجربة ما يقضى بتصحيحها ، ولا تعرف التزاما غير الالتزام تجاه كل ما فى الكون بحب استطلاع محايد · والعلماء واجدون فى نشاطهم لذة لا يفسدها اباء البعض أن يشترك فى نشاطهم لـذة لا يفسدها اباء البعض أن يشترك فى نشاطهم ، ووليمتهم لا يعكر من صفوها رفض جيرانهم الانضمام اليهم للاستمتاع بها ·

وهذا هو السبب فى أنه فى حين نجد من النادر أن يصـبر امرؤ على الاستماع الى رأى سياسى أو اقتصـادى أو دينى من شخص يخالفه ، أو أن يعرض قضيته عرضا موضوعيا نقـديا هادئا مجردا عن الهوى ، نرى العالم ينظر الى كافة الحقائق · عدا طرائق الاثبات ومناهج التحقيق المنطقية · على أنها قابلة للتمحيص والتصحيح ، ويرى الشك مطلوبا ومرحبا به ، ومشجعا عليه ، بـل ويزيد من لذة البحث ·

★★★

فنحن اذن حين نتحدث عن حرية الفكر انما نعنى عادة حرية التعبير عن الرأى ، لا حرية البحث عن المعارف العلمية والتصريح بها · وقد غدت حرية التعبير عن الرأى اليوم مقبولة ومسلما بها فى معظم البلدان المتحضرة ، غير أنها حرية لم تكتسب الا فى العصـر الحديث ، وبعد اراقة بحور من الدماء ، وكان لابد من مرور قرون طويلة حتى تقتنع الشعوب المتمدينة بأنها فى صالح الانسان لا العكس ·· بل كان لابد من انقضاء أمد طويل قبل أن تخطر فكرة حرية الرأى نفسها فى اذهان الناس ·· فثمة من المجتمعات ما عرف حـرية التعبير عن الرأى قبل أن يطرأ بباله أنه يتمـتع بها ، (كالاغريق والرومان فى بداية دولتيهما) وقبل أن يعى أن هذه الحرية حـق من حقوق الانسان ليس من حق سلطة أن تمسه ·

والمجتمعات التى كانت فى الماضى · أو لا تزال · تعـارض

حرية الفكر ، وتناهض الآراء الجديدة ، انما تعارض هذه وتناهض تلك للاسباب الثلاثة التالية :

الأول : ان عقل الانسان العادى هو بطبيعته كسول ، وأفكاره يقبلها عادة من البيئة المحيطة به دون مناقشة • فهو يعارض غريزيا كل ما من شأنهأنيخلخل النظام الثابت فى عالمه المألوف •• والفكرة الجديدة تحتم ضرورة قيامه باعادة ترتيب أفكاره ، وهو أمر شاق • ومن ثم فان الفكرة الجديدة تبدو له شريرة خبيثة لمجرد أنها مرهقة، ويفضل عليها اعتناق الآراء والمعتقدات المستندة الى سلطان كنيسة أو كتاب مقدس أو رأى عام ، حتى ان كان من المستحيل البرهنـــة على صحتها ، لمجرد ايمانه المطلق بسلطة أو بفرد •

وثانيها : ذلك الخوف من أن تؤدى الأفكار الجديدة الى تهديد المجتمع وأسسه ، بالنظر الى ما تعنيه من ضرورة أدخال التغيير والتعديل على النظم السائدة فيه • وقد ظل الناس حتى عصرنا هذا يخالون صالح الدولة فى الاستقرار الثابت الجامد ، وفى المحافظة على التقاليد والأنظمة دون أدنى مساس بها •

ولذا صاروا يرون الشخص خطرا متى شرع فى التساؤل عن حكمة المبادىء الشائعة ، أو التشكيك فى التقاليد •

وثالثها : ان الأفكار الجديدة تهدد مصالح شرائح قوية من المجتمع ، كتهديد مبادىء الثورة الفرنسية للطبقة الارستوقراطية ، والماركسية للطبقة البرجوازية ، والعلمـــــانية لرجال الدين ، وهى طبقات ترتبط مصالحها بالنظام القائم ، وبالأفكار التى يستند اليهـا هذا النظام • ولذا صار من المؤكد أن تلقى هذه الأفكار معارضة قوية من تلك الشرائح •• والواقع أن معظم المعتقدات الخـاصة بالطبيعة والانسان مما يقوم على أساس علمى ، كان يخدم بصورة مبـاشرة أو غير مباشرة مصالح طبقة اجتماعية مباشرة دينيـــة ، وبالتالى فقـــد كانت القــــوة تحميه دائما من هجمات وانتقـادات أفراد

يصرون فى عناد على الاحتكام الى العقل · والملاحظ بوجه عــام · وكما سبق أن ألمحنا · انه ما من شخص يغضب اذا انكر جــاره حقيقة قابلة للتمحيص والاثبات ، غير أنه يثور ويغضب متى أنـكر هذا الجار معتقدات لا يمكن بأى حال اثباتها علميا · فان أصر الجار على أن صلاح الدين الأيوبى لم يكن له وجود ، أو انكر أن الملح يذوب فى الماء ، فانه يثير سخريتنا أو شفقتنا · أما ان شك فى وجود الجن أو فى خلود الروح ، فانه يثير غضب الناس وكراهيتهـم ونقمتهم ، وقد يحــكم عليــه فى بعض المجتمعات بالموت بسبب شكه هذا ·

وقد شهدت العصور الوسطى بالأخص ميـــــدانا شاسعا من المعتقدات التى فرضت السلطات على الناس واجب قبولها ، وحذرتهم من الخوض فى الكلام عنها أو تحكيم العقل فيها · غير أن العقل انما يخون طبيعته أو وظيفته ان هو قبل الحـــــدود التحكمية أو القيود المفروضة على حريته ·· وتأكيد العقل لحقه المطلق فى النظـــر فى كافــة ·

الأمور هو ما يعرف بالعقلانية · وما ادانة البعض لهـــذه العقلانية الا من آثار الصراع المرير بين العقل والقوى المعــادية ، لا سيما فى مجال الثيولوجيا التى احتـــدم فيها الصراع بصـــفة خاصــة ·

والحقيقة أن أولئك الذين يهمهم حقا تأكيد سلطان العقل كانوا دوما أقليــة صــــغيرة من البشر ، ومن المثقفين الذين بوســــعهم استخدام السلاح الوحيد المتاح للعقلانية ، أعنى به الجدل · أمـــا أعداؤهم فقد لجأوا فى حربهم ضد هؤلاء الى العنف المادى ، والقهر المعنوى ، والضغط القانونى ، واثارة الاستنكار الاجتماعى ·

وقد لجأوا أحيانا الى استخدام سلاح أعدائهم وهو الجـــدل وتحكيم العقل · غير أنهم كانوا دائما فى تلك الأحيان يخـــرجون من الصراع جرحى منهزمين ، كما هو الحال حين حاربت الكنيســة

أفكار جاليليو فى أوائل القرن السابع عشر ، ثم اعترفت بخطئهـا فى أواخر القرن العشرين · والواقع أن أضعف نقطـة فى المركز الاستراتيجى لأعداء العقلانية هى أنهم · وهم بشر · لم يستطيعوا أن يحولوا بين أنفسهم وبين استخدام الجدل والحجج العقلية ، مما أدى الى حدوث الانقسامات فى صفوفهم هم ، والى اتاحة فرصـة النصـر للعقلانيين ·

وقد يعترف البعض بخطأ السلطة فى محاكمة جاليليو ، ولكنه يرى لها الحق مع ذلك فى أن تتحكم فى مجال العقائد التى تخـرج عن نطاق الخبرات البشرية ، والتى لا يمكن اثباتها أو التأكد من صحتها ، كما لا يمكن اثبات خطئها · وفى الرد على ذلك نقـول : انه بوسع أى مخلوق أن يخترع أى عدد من الافتراضات التى لا يمكن اثبات خطئها ، والتى يمكن لأى شخص أبله ، أو مندفع ، أو سـهل الانخداع ، أن يقبلها ويعتنقها · غير أنه ما من أحد يملك أن يدعى أن كل هذه الافتراضات جديرة بالتصديق ما لم يثبت كذبها · فان كان بعضها فقط أهلا لأن يصدق فأى سلطان سوى سلطان العقل له أن يميز بين ما هو أهل للتصديق وما هو أهل للتـكذيب ؟ فان ادعوا للسلطة هذا الحق ، أجبنا بأن الكثير من المعتقـدات التى آزرتها السلطة فى الماضى ثبت على مر الأيام بطلانها وهجرت ·· والخلاصة أن عبء الاثبات لا يقع على عاتق المكذب بل على عاتق المصـدق · فلو أنه قيل لك ان بالفضاء الخارجى كوكبا يسكنه جنس من الحمير، يتحدث بلسان عربى مبين ، ويقضى يومه فى مناقشة آراء ابن سـينا وابن رشد ، لما كان بوسعك أن تثبت كذب ما يقال لك · غير أنك لست مطالبا بالتصديق لمجرد عجزك عن اثبات بطلان الزعم · ومع ذلك فان البعض قد يقبل الفكرة ويصدقها متى كررتها السلطات بما فيـه الكفاية ، وأذاعتها الاذاعة والتليفزيون صباحا ومساء ، ونادى بها قوم من أسطح المنازل ، وغرسـها الآباء والمعلمـون فى ذهنه منذ طفولته ، وأكدها له بقوة أناس يوقرهم ويحترمهم · ونحن نعـلم

عن يقين قوة تأثير التكرار فى ثقة (كما فى الاعلانات) ، وقدرة هذا التكرار على تثبيت الآراء والعقائد فى النفوس ٠

ولا شك فى أن قمع الآراء الجديدة كثيرا ما تسبب فى الماضى فى عرقلة التقدم أو الحيلولة دونه فى المجتمعات البشرية ٠ وقد كان هذا القمع يستند دائما الى حجة أن الآراء الفاسـدة ليست أخف ضررا من الأعمال الاجرامية ، وانه من مسئوليتهم مقاومة تلك ٠ والرد الواضح على ذلك هو بالتساؤل عن الحكم بصدد تقييم الآراء ومن صاحب الحق فى الفصل بين الصحيح والباطل ، والتمييز بين الاجرامى والبطولى ، وبيان ما هو خليق بالمكافحة وما هو خليـق بالتشجيع والرعاية ٠ وكثيرا ما حدث فى التاريخ أن ادان حـكام رأيا ثم اعتنقه حكام تالون ، كمكافحة حكومة القيصر نيقولا الثـانى للشيوعية فى روسيا ، ومكافحة حكومة لينين بعدها للآراء المناهضة للشيوعية ، كل بدعوى أن آراء خصمه آراء فاسدة ٠ غير أن المثال الأقرب على هذا هو تغيير الفرد نفسه لآرائه بمرور الوقت ٠ فالرأى الذى أؤمن اليوم بكل قوة وثقة بأنه صحيح وفوق مستوى الشبهات، قد أغيره بعد عام أو عامين وأرى خطله وفساده ، ثم قد انتقل من هذا الرأى الثانى فى مستقبل أيامى الى ثالث فرابع ، ففى أية مرحلة اذن من تلك المراحل من العمر يمكننى أن أقول فى ثقة بأنى على حـق ؟ وقد سبق لفرويد أن عرف الآراء بأنها « اعتقـاد المرء بصحة شىء ما لمجرد رغبته فى أن يكون ذلك الشىء صحيحا » ، وعرف الشـاعر روبرت جريفز الأساطير بأنها ديانات الآخـرين ٠ فمن ذا الذى بمقدوره أن يصف رأيه بأنه الرأى الحق ، وغيره أنه أساطير ٠ وهو يعلم أنه لو كان قد نشأ نشأة غير نشأته ، وبين قـوم غير قومه ، وتلقى تعليما غير ما تلقاه ، لوصف الرأى الذى يعتنقه الآن بأنه من الأسـاطير ؟ ٠

كذلك فان الاحتجاج بأن عقيدة الأغلبية العظمى فى مجتمـع معين هى الحكم فى مضمار صحة الرأى ، هو الآخر احتجاج مردود

عليه · فقد تخطى الأغلبية فى اعتقادها وقد يصيب انسان فرد · ولو أن البشرية بأسرها أجمعت على رأى وخالفها فيه شخص واحد ، لما حق للبشرية ان تخمد صوته ، تماما كما أنه ليس من حق هذا الفرد أن يخمد صوت البشرية ، فاخماد الصوت فى حد ذاته وعلى حد تعبير جون ستيوارت ميل ، « يضر بالجنس البشرى ، وبحاضره ومستقبله ، كما يضر بقامعى الرأى أكثر من اضراره بصاحب الرأى · ذلك أنه لو كان رأى ذلك الفرد سليما يحرم الناس بقمعه من فرصة تصحيح خطئهم · ولو كان رأيه باطلا يحرمون من فضل يفوق فضل تصحيح الخطأ ، الا وهو الرؤية الأوضح للحق الناجمة عن صراعه مع الباطل ، وذلك أنه حتى لو كانت عقيدة الأغلبية هى الحق المطلق ، فان حرمانها من فرصة اثبات نفسها على حساب الباطل يجردها من أسسها العقلانية ، ويحجب الأسباب التى أحالتها من رأى الى معرفة قطعية ·

★★★

وختاما فان تأكيد حق انسان فى حرية التعبير عن رأيه ، لا يستهدف استمرار اختلاف الآراء بين الناس الى ما لانهاية ، ولا ابقاء الآراء دوما محلا للشك والجدل · وبالعكس ، لقد كان من أفضال حرية التعبير عن الرأى على البشرية أن زادت (ولا تزال تزيد) من عدد الآراء والمعارف التى لم تعد موضعا للشك والخلاف، أو هى على الأقل ضيقت من حدود الشك واحتمال الخلاف · اذ من ذا بمقدوره اليوم ، غير قلة يدينها الضمير البشرى ، أن يدافع عن نظام الرق أو تجارة العبيد ، أو عن نظرية تفوق جنس على جنس ، أو عن حرمان المرأة من الحقوق ، أو أن ينكر أنه لا اكراه فى الدين ، أو حقوق الأقليات الى آخره ؟ فالواقع أن تقدم البشرية يمكن أن يقاس بعدد وأهمية الحقائق التى لم تعد تثار الشكوك حولها ·· وهو أمر ما كان ليحدث لولا أن أتيحت للناس فرصة الطعن فى الآراء السائدة ، والحق فى التعبير عن أفكارهم المخالفة لفكر الغالبية فى

مجتمعهم ولولا انتصار دعوى أنه خير امتحان للحقيقة هو قـــدرة الفكرة على أن تلقى القبول فى ظل التنافس فى السوق ، وانه ما من شخصية أو جماعة قد بلغت من الحكمة مبلغا يبيت من حقها معــــه أن تستقل بالحكم على هذا الرأى أو ذاك بالصحة أو البطلان ٠

قـــال الراوى :

انقـــاذ ما يمكن انقـاذه
مسئولية الدولة فى نشر التطرف والارهاب
وضرورة التغييـر

د. أحمد صبحى منصور

● كانوا يحكون فى بلاد الفـــــرس القديمة أن أربعة من السحرة اجتمعوا حول عظام حيوان ميت فاتفقوا على اعادته للحياة ونجحوا ، وفوجئوا بأنه أصبح أسدا مفترسا ، ونظر اليهم الأسد بعد أن عاد للحياة ، وقال: هؤلاء أعادونى للحياة ويمكنهم أن يسلبوها منى ، فأسرع بافتراسهم .. وتلك القصة الرمزية تكاد تنطق على حال الدولة المصرية وعلاقتها بالتطرف والارهاب ، لقد بعث الساداات تيار التطرف من مرقده ليستخدمه ضد خصومه من اليسار والأقباط، ولكن سرعان ما افترسه التطرف وقتله ، ولم تستوعب الدولة المصرية الدرس ، فاتخـــذت مع التطـــرف ســـياسة التردد والمهـــادنة ومسك العصا من المنتصف على أمـل أن تسـيطر على تيار التطرف وتجعله يجلس على ركبتها ، فاستيقظت الدولة من أحلامها واذا بها هى التى تجلس على حجر التطرف يتلاعب بها كيف شاء ، وحين أدركت الدولة هذه الحقيقة أسرعت بحشد قواتهـــا لتضرب معاقل التطرف المسلح وتسير فى المعالجة الأمنية الى النهـاية ، وأسرعت بالتوازى لتصدر قانون الارهاب وتضع قيـــودا أخرى على هامش

الحرية الضيق الذى يتنفس الناس من خلاله بصـــعوبة ، والدولة لا تدرى أنها بذلك تدق آخر مسمار فى نعش وجودها ، لأن المعالجة الأمنية وصدور قانون آخر يطلق يد الدولة البوليسية فى العمـــل مع اشتداد الأزمة الاقتصادية وارتفاع الأسعار وكل ذلك مما يجهز المناخ الملائم لانتصار التطرف وانضـمام أفــواج الساخطين الى رحابه ، وفى النهاية لن يدفع الثمن الا المخلصون لهذا الوطن اما فئران السفينة الذين يتسببون فى غرقها فهم عادة أول من يهرب منها قبل الغــرق ٠٠ !

● ان مواجهة التطرف بالعنف لا يجدى لأن الفكر لا يواجهه الا الفكر ، بل على العكس فان عنف الدولة يساعد على انضـــمام كثير من المحايدين الى تيار التطرف ، بل ان عنف الدولة لا يلبث أن يذهب بهيبتها ـ على خلاف ما يتوقع بعضنا ـ لأن الذى يدخـــل السجن لأول مرة يحس بالرهبة والخوف ، ثم لا يلبث أن يعتــــاد الحياة داخله ، فاذا دخله للمرة الثانية أحس بأنه يعود لبيته ، وحين يخرج منه ربما يشتاق اليه خصــــوصا فى زمننا الردىء ، ثم أن استعمال الدولة للعنف يدفعها لمزيد وهكذا حتى تصل الى نقطـــة اللاعودة وبعدها تنهار حتى تجد نفسها فى مواجهة شعب بأكمله ، وحينئذ ينهار النظام كما حدث مع شاه ايران وثورة الخمينى ٠٠

● لقد أصبح واضحا عجز الدولة أمام أزمة التطرف بعــد أن أسهمت فى انتشاره خلال جهاز الاعلام وجهاز الشرطة على وجه الخصوص ٠ أسهم جهاز الاعلام فى تلميع الجناح المدنى للتطـرف من خلال البعض الذين سيطروا على أجهزة الاعـــلام والمساجد الحكومية والأهلية وبثوا بين السطور بذور التطـــرف على شكل أحاديث كاذبة منسوبة للنبى عليه السلام يتم من خلالها تكفير المسلم واتهامه بالردة وتعريض حياته للخطر ، ثم لا بأس بأن تتعمق الفرقة بين عنصرى الأمة من مسلمين وأقباط ويترسب فى الأذهان أن القبطى مواطن من الدرجة الثانية يجوز استحلال دمه وماله وشرفه ٠٠ !

وفى نفس الوقت أسـهمت الشرطة فى اضـافة المزيد من الانصار الى الجناح العسكرى للتطرف ، من خـلال تجاوزات فى معاملة المواطنين فى أقسام الشرطة أتاحت للبعض أن يشوه سـيرة الأغلبية العظمى من الشرطة ، ثم دخول الشرطة وهى عنوان هيبـة الدولة فى صراع مع المتطرفين تخـلله كر وفر واعتقـال وافراج ومطاردات ومساومات ومباحثات وتنازلات ، وأدى ذلك الى ضياع هيبة الدولة بقدر ما أدى الى تضخم الجناح العسكرى للتطـرف حتى أصبح يغتال من يشاء من المشاهير ويتحكم فيمن يشاء من القرى والمراكز فى القاهرة والصعيد على السواء ·· وضاعت أصواتنا هباء فى وجوب أن تكون الشرطة هى خط الدفاع الأخير لأن العنف لا يجدى فى مواجهة الفكر ·

★★★

● ان أجهزة الدولة التى ساعدت على تفاقم المشكلة لا نأمل أن يتم الحل على يديها · ولأن الأمر يعنينا نحن أكثر لأنه حاضرنا ومستقبل أولادنا فاننا ندعو الدولة لترك سياسة الاحتواء ومحاولة السيطرة على تيار التطرف الى انتهاج سياسة جديدة لا تخاذل فيها ولا تردد ، لأن الخطر يحيق الآن بمصر وحاضرها ومستقبلها ، وليس مجرد نظام حاكم ··

ان كاتب هذه السطور قد لاقى الاضطهاد وعرف الفصل من العمل والتشريد لأنه أراد أن يبرىء الاسلام من تراث التطرف الفكرى وسبق الجميع فى التنبيه على خطورة أن تستعين الدولة بالبعض الذين يدافعون عن فكر التطرف فى مواجهة المتطرفين والآن أصـبح واضحا خطورة ذلك الجناح المدنى للتطرف الذى يصدر الفتـاوى بالقتل ثم يتحدث عن سماحة الاسلام بعد أن يغسـل يده من دماء القتلى ·· ولا أمل فى قيام حركة فكرية دينية فى وجود هؤلاء البعض التى يمنع بها مجرد الاقتراب من مناقشة جذور التطرف الدينيـة ومخالفتها لصحيح الاسلام ··

وندخل بذلك على المطلب الأساسى وهو اتساع هامش الديمقراطية ليشمل السماح للاخوان المسلمين وغيرهم بتكوين احزاب دون شروط مسبقة ، وان يكون الحكم فى ذلك ليس لجنة الأحزاب وانما للشعب المصرى الذى نضج فكريا وحضاريا بحيث يعرف أين تقع مصلحته ، ثم يتم السماح باصدار الصحف لأى مصرى لينشغل الجميع بالحوار فلا يكون هناك متسع للعمل السرى واسالة الدماء ، والذى يختار بعد ذلك العمل السرى يتكفل به القانون العادى ، بعد الغاء القوانين سيئة السمعة ومن بينها قانون الارهاب المقترح ·

ومن الطبيعى أن يقترن ذلك بسرعة الاصلاح الاقتصادى وتقليص سيطرة البيروقراطية على الانتاج والاستثمار والخدمات واعطاء الفاعلية لأجهزة الرقابة فى مطاردة الفساد ، وفى جو من الحرية والديمقراطية يستطيع الشارع المصرى أن يتحمل الآثار الجانبية للاصلاح الاقتصادى ، ويشعر المواطن بمسئوليته الشخصية عن وطنه ومستقبله فيتخلى عن السلبية ، واذا نجحنا فى اجتذاب الأغلبية الصامتة الى التفاعل مع مصلحة البلد فاننا نكون بذلك قد حرمنا تيار التطرف من المجال البشرى الذى يسعى للسيطرة عليه ، ونكون قد ضمنا النجاة بمصر وحاضرها ومستقبلها ·

نجـــوم الشباك
فى صناعة التطرف

سهل أن يصبح الشاب أميرا ؛ صعب أن يصبح موظفا !

علي سالم

فى أداء سريع يتسم بالنعومة حصـلت الدولة على تعـديلات القوانين المطلوبة ، التى ترى أنها تساعدها على مواجهة الارهاب ، تلك القوانين التى رأها البعض أقل تشددا مما يجب ورآها البعض أكثر صرامة مما ينبغى . وبذلك تكون الاشارة التى أرسلتها الى أعدائها هى : أنظروا .. لقد حصلت القاعدة الشرعية التى انصب عليها كل أسلحتى ضدكم ، لدى الآن كل ما أحتاجه من ذخائر منذ كل العيارات .

الطريف فى الأمر أن الدولة ـ أى دولة ـ لديها دائمـا فى ترسانة قوانينها كل الأسلحة الكافية لمواجهـة أعدائهـا ، غير أن أمناء المخازن أحيانا يهملون اثباتها فى الدفاتر أو يخفونها ـ لصالح الغير ـ تحت بضائع أخـرى أو يقومون بتكهينها وبيعها للآخـرين بثمن بخس أو على الأقل يفتون بعدم صلاحيتها لقدمها أو للصدأ المتراكم عليها طوال عدم الاستخدام .

والحيـاة كما يعرف الجميع ، صراع دائم ومتجدد ، يكسبه دائما من يجيد فهم قوانين الصراع ، وذلك عندما ينجح فى تحويل هذا الفهم الى « أفعال » واضحة على ساحته · وبوصول المسألة الى الصراع المسلح ، لا مفر من تطبيق قواعده المعروفة ، فى الصراع المسلح أنت لا تقضى على « أفراد » العدو أو تعمل على وضعهم فى الأسر أو تجريدهم من السلاح ثم تطلق سراحهم · ولذلك تقضى على معداتهم وعتادهم وخطوط تموينهم من ثم يتملكهم اليأس فيتوقفون عن مواصلة القتال ويقبلون بشروط السلام ويعودون الى حقولهم يحملون الفأس ويقودون النورج ·

وهناك فى ساحة القتال آلاف المواقع منها ما هو حصين ومنها ما هو حكيم يشرف على ممرات استراتيجية · ومنها ما هو عادى ، مجرد خندق يجلس فيه بعض الجنود البسطاء ·

فعلى من سنطلق الرصاص ؟

هل سنطلقه على خنادق الأفراد ، من الجنود التعساء الذين أفهمناهم فى التليفزيون والصحافة أنهم جند الله ؟ وهل تتوقعون منهم الا كل استبسال فى القتال والتخفى من أجل القضاء على جند الشيطان الذين هم نحن ؟

هل نتوقع من شخص حصـل على لقب « أمير » أن يتخـلى ببساطة عن أحلام الوصول الى هذا اللقب الجميل بينما آلاف البشر يناضلون سنين طويلة بينمـا آلاف البشر يناضـلون سـنين طويلة للحصول على لقب « وكيل الوزارة » أو حتى مدير عام ؟

أوافق على أن الدولة لديها على الجبهـة الأمنيـة الآن كل الذخائر المطلوبة ، أو على الأقل التى طلبتها هى ، السؤال هو : هل أعدت الدولة كشفا بالمواقع الاستراتيجية المطلوب ضربها ؟ أم أنها ستحارب حرب خنادق طويلة على طريقة الحـرب العالميـة الأولى

...

تذبح فيها نحن ويذبحون هم الى ما شــاء الله ؟ أم هى ســتضرب الحصون ومراكز الاتصالات وخطوط التموين ومخازن الذخيرة ثم تتقدم بسرعة خاطفة بكل مدرعاتها مخترقة كل الخطوط من أضعف نقطة لعمل كماشة محكمة على الجبهة كلها وبذلك تتمكن من انهاء الصراع فى عدة أيام بأقل قدر من الخسائر · ثم نتفرغ بعد ذلك لبناء المستقبل على أساس متين ؟

أتوقع أن الدولة عندما تقوم باعداد كشوف الأهداف المطلوبة ستفاجأ بمفاجأة طريفة ومحزنة ، من الصعب ضرب هذه الأهداف لسبب بسيط ، جانب كبير من رجالها يقيمون هناك ، هل ستتخلى عنهم ؟ هل ستلقى بقنابلها عليهم ؟ هم هنــاك فى تلك الحصــون والمواقع ، يأكلون نفس الطعام من نفس « القروانة » ويتكلمون نفس اللغة ، ويتدربون على حمل نفس السلاح ، ثم الاستيلاء عليهم فى غفلة أو فى يقظة من الزمن ·

ولعل أوضح مثال لذلك ، عندما وقف مسئول كبير فى مجلس الشعب يقول أن قانون الاصلاح الزراعى كان حراما · وأن القانون الجديد حلال · ووقف مسئول آخر يقول : لقد سألنــا وتأكدنا أن القوانين الفلانية تتفق مع الشريعــة · وكأن الطرف الآخــر يريد ــ بالفعل ــ تطبيق الشريعة الاسلامية . وبذلك تكون مهمتنا سهلة ، أن نشرح لهم أن كل ما نفعله حلال ، وكأن المسئولين يصدقون بالفعل أن ما يحدث فى مصر الآن من قتل للمسلمين والأقباط ورموز الدولة والمناداة بهدم الآثار والهرم الأكبر ، ووأد المرأة فى قبر متحرك من القماش الأسود له صلة بالحلال والحرام ·

لا مفر من ضرب أقوى حصــون الارهاب فى مصر ، وهو النفاق ، تلك القلعة الحصينة التى تهدد حاضر مصر ومستقبلها ·

لا بأس ، ما أخف الألم الذى نشعر به عندما نمشى على الأشواك .

بعد أن مشت طلقات الرصاص فى أجسام أبناء هذا الوطن لمجرد أنهم يقومون بواجبهم دفاعا عنه ٠

من هم النجوم فى هذا المجتمع ؟

لكل مجتمع نجومه فى الطب والزراعة والسياسة والبحث العلمي والأدب والفكر والفن والدين و ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠

أفراد من البشر لامعون ومؤثرون وأقوياء يتمنى كل فرد فى المجتمع أن يكون واحدا منهم ٠ وعندما كنا أطفالا كان السؤال الذى يوجه الينا دائما هو : من هو مثلك الأعلى ؟ من تريد أن تكون ؟ سعد زغلول ، مصطفى كامل ، النحاس ، طه حسين ، العقاد ، على باشا مشرفة ؟ عبود باشا ؟

ماذا تريد أن تكون ؟ طبيبا ، طيارا ، مدرسا في الجامعة ؟ ضابطا فى الجيش ؟

من تريد أن تكون الآن ؟ وجهت هذا السؤال للطفل بداخلى وأوجه للطفل بداخلك ٠٠ هل تريد أن تكون عاطف صدقى ؟ عمرو موسى ، عبد الحليم موسى ؟

بصراحة لا أريد أن أكون واحدا من هؤلاء فهم يعملون عملا شاقا ، يقفون فى المطار ، ونوجه لهم استجوابات فى مجلس الشعب ويسخر عنهم رسامو الكاريكاتير ، وينتقدهم الكتاب ، وهم فى النهاية يحالون الى المعاش ٠

من تريد أن تكون اذن ؟

فؤاد سراج الدين ، خالد محيى الدين ، ابراهيم شكرى ، مصطفى كامل مراد ، « آسف ، لا تحضرنى الآن أسماء رؤساء بقية الأحزاب » ٠ لا سبب لدى يدعونى أن أكون واحد منهم لأسباب عديدة ، على الأقل لأننى لا أعرف ما هو عملهم بالضبط ٠

إذن ماذا تريد أن تكون ومن تريد أن تكون ؟

الاجابة : أنا وأنت وكل مخلوق فى مصر يتمنى أن يكون شيخاً جليلاً ٠

أريد أن أكون محترما ورعا تقيا نقيا غنيا ثريا قويا لأبعد حد ٠ لا أحد يناقش ما أقول ، لا أحد يقترب مما أقول ، أنا رمز القوة والثراء والايمان الماسك بناصيه الدنيا والدين ٠ سأعيش فى أجازة دائمة تنهال على الفلوس من كل المشاريع ومن كل الجهات التى تكره لمصر أن تكون دولة حديثة ، قد يعنى لى ـ مثل أى انسان آخر ـ أن أقول كلاما غبيا ولكن لا أحد سيغامر بمناقشة ذلك ، سيتهم على الفور أنه ضد الاسلام ٠ صورتى ستظهر فى كل أجهزة الاعلام فى كل مكان وكل يوم ، سيهرع الى الصحفيون لمعرفة رأيى ـ الذى هو رأى الشرع ـ فى أى حدث فى المجتمع ، فى أى شىء ، حتى لو كان حادث مرور ٠٠

وما رأيك فى الارهاب ما رأيك فى قتل رجال الشرطة والأقباط والمسلمين ، ما رأيك فى هؤلاء الذين ينادون بتدمير الآثار والهرم الأكبر ؟ ما رأيك فى هؤلاء الذين ينادون بعدم تحية العلم ؟ ما رأيك

نعم ٠٠ ؟ يا بنى هذه الأسئلة خاصة بالدنيا ، اذهب بها للدنيويين ٠ القوة الآن فى هذا المجتمع للنجوم المتحدثين شكلا وظاهريا فى علوم الدين ، بينما اذا اقتربت منهم فوجئت أنهم لا يتحدثون عن الدنيا أو الدين ، لذلك ستجد احدى دور النشر عند صناعة نجم جديد تنشر لعدة أيام ثلث الصفحة الأخيرة فى الجرائد اعلانا عن كتابه الجديد ، هى صناعة مربحة ، لماذا لا يدفعون اليهم بنجوم جدد ؟

ثلث صفحة لم تحدث لأعظم مفكر مصرى ، لم تحدث لكتاب « البحث عن الذات » أيام الرئيس السادات ٠ لنقترب الآن معا

يقولة النجم الجديد فى التليفزيون مع المذيعة اللامعة ، تستطيعين أن تفسدى أثر الحسد اذا استطعت الحصول على كمية من الماء استخدمها الحاسد ، استحم بها أو غسل بها يده ٠

ــ هذا أمر صعب ٠٠

● بالعكس ٠٠ هذا سهل جدا ٠٠ وجهى له الدعوة على الغداء ، اقفلى محابس البيت كلها ، وبعد أن ينتهى من تناول الطعام ، قولى له أنا آسفة ، المياه مقطوعة ، ثم تحضرين له « طشتا » و « ابريقا » به ماء ، وبعد أن يغسل يديه خذى المياه ورشيها على جسدك وبذلك يفسد أثر الحسد ٠٠ كما يجب على كل منا أن يعطى أى انسان ــ يشك فى أنه محسود منه ــ المياه التى يطلبها بعد استخدامها ٠٠ أنا شخصيا أفعل ذلك وبسماحة ٠

تقدم ياسيدى فى طريقك المفروش بالكميرات وحروف الطباعة والأموال والخرافه ، ضع قدميك أنت وزملاءك على حاضر ومستقبل هذا البلد ٠٠ تفضل ضع نعليك على عقولنا ٠٠ بالطبع تم مسح كل أشرطة هذه البرامج بعد أن فعلت ما فعلت فى عقل الشعب المصرى ولكن أرجو الا يكون قد تم مسح شريط يوم الاثنين الماضى ٢٠ يوليو ، كان الحديث مع نجم متحدث جديد ، سألته المذيعة اللامعة : هل ملاك الموت ملاك واحد ؟ وكيف يتمكن اذا كان ملاكا واحد من قبض أرواح الكثيرين فى وقت واحد ، أم أن هناك ملائكة كثيرين للموت ؟

وكانت الاجابة هى : هو ملاك واحد ولكن معه فريق كبير معاون من ملائكة الرحمة والعذاب ٠

وكان السؤال الثانى عن الموت والحشرجة والغرغرة ، وعن كيفية خروج الروح من الجسد ٠

هل هذا ما تقصدونه « بجرعة الدين » فى التليفزيون ؟

هل هدا حديث فى الدين ؟ هل الشعب المصرى منشغل الآن بالكيفية التى ستخرج بها روحه عندما يموت ؟ هل هناك شخص واحد على أرض هذا الوادى ـ باستثناء السيدة المذيعة ـ مهتم بمعرفة الاجابة عن مثل هذه الأسئلة ٠

لو أن صوتا مسموعا فى هذا البلد لقلت ما رأيكم فى أن تخلع هذه السيدة الحجاب أمام الكاميرا ، أن ياتى رجل دين حقيقى فى هذا البرنامج ويقول لها : هذا نفـاق ياسيدتى ٠٠ ما معنى أن تخفى مفاتن شعرك وتظهرى مفاتن وجهك ؟

وتكون هذه بداية الحملة ٠

وعلى التليفزيون أن يتكفل بالخسائر الناشئة عن ذلك فى محلات بيع ملابس المحجبات ، فنحن لا نريد لأحد أن يخسر أموالا فى سبيل مصر الحديثة ، خصوصا اذا كان يعمل فى التليفزيون ٠

مواجهـــات

الخـــروج عـلى النص

« الاســلام السياسى »

ثورة مضـادة للاسـلام

لا صلة بين الايمان والارهاب ولا بين الدين والدم

المعارضة المسلحة تخرج على الشريعة والشرعية

د٠ غالى شكرى

لماذا لا يصلح أو يصلح « الاسلام السياسى » طرفا فى معادلة نهضوية بديلة ؟

كان فكر « الاصلاح الدينى » وما يزال من محمد عبـده الى محمـد خلف الله مـرورا بعلى عبد الرازق وخالد محمـد خالـد وأمين الخولى عنصرا جوهريا فى بناء « النهضـــة » التى عاشت واحتضرت فى حوالى قرن ونصف ٠٠ لانها استطاعت من ناحيـة ان تكون جسرا بين اسلام الشعب واسلام المؤسسة الشرعى الذى عقد « الكتاب » بين البرجوازية المحلية والغرب ٠

ولكن فكر الاصلاح الدينى حوصر مرتين مشهورتين ٠ الأولى فى ظل النظام الأكثر رجعية والأخرى فى ظل النظام الأكثر تقدما

٠٠ فى الأولى حوصر طه حسين وعلى عبد الرازق وخالد محمد خالد من جانب اسلام المؤسسة (الأزهــر) ، وفى الثانيــة حوصر خالد محمد خالد من جانب المؤسسة ذاتها (المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ١٩٦٢) ٠ وكانت النتيجة ان خلا الجو الثقافى ـ السياسى من اسلام « الاصلاح الدينى ٠٠ ولم يعد هناك سوى اسلام الشعب كأيديولوجية ثاوية فى عمق اعمــاق مجـرى الشعور ، واســلام المؤسسة الطافى فوق السطح ٠٠ وهو الاسلام الموظف فى خـدمة الدولة ٠٠ لذلك ينحاز له الاسلام الشعبى فى ظل الدولة الناصرية لانه يفتى بان « الاشتراكية » و « الوحدة العربية و « عـدم جواز الصلح مع العدو الصهيونى » كلها قرارات واجراءات واختبارات مستوحاة من الاسلام ٠

ولذلك أيضا ، فان الاســلام الشـعبى يفقد الثقة تماما فى اسلام المؤسسة ، فى حين يفتى فى ظل الثورة المضادة ودولة السادات بأن « الانفتاح » و « مصرية مصر » و « الاستثمار أو الاستغلال » و « الصلح مع اسرائيل » كلهــا قرارات واجراءات واختيارات مستوحاة من الاسلام ٠

هنا لا يجد اسـلام الشعب ما يرتكز عليه سـوى الاســلام السياسى ٠٠ لان اسلام الاصلاح الدينى خبا ، ولان اسلام المؤسسة لم يعد جديرا بالثقة ، ولان ما يكتبه اليسار عن الاسلام اشــبه ما يكون بالاعتذار ، ولا يبـدو مقنعــا ، بل أقــرب الى الانتهازية الفكرية والسياسية أو الرعب من الزحف الجارف ٠ أو فى أحسن الأحوال كأنه يحاكى جيل الرواد حين هرولوا اثر انتكاسة ثورة ١٩١٩ الى الكتابات الدينية ٠

شــعارات

وهناك اضافات أخرى لا تقل أهميــة ، فى مقدمتها الهزيمة المستمرة من ١٩٦٧ الى اليـوم ، حيث بدت القومية والاشـتراكية

لقطاعات عريضة لا يستهان بها من الشعب كما لو انها مجرد شعارات فقط غير قابلة للتطبيق · وكان ما يسميه عبد الناصر « بالطبقة الجديدة » و « حزب الرجعية المنظم » متحفزا دوما للانقضاض على كافة المكاسب البنيوية للمجتمع المصرى (القطاع العام ـ الاصلاح الزراعى ·· الخ) · وفى المقدمة كذلك حرب لبنان التى اتخذت طابعا طائفيا يخفى باتقان معالم الصراعات الاجتماعية والوطنية والقومية · ولذلك حين استطاعت قوى الثورة المضادة فى مصر ان تستولى على السلطة ، تبلورت على الفور فئتان اجتماعيتان لهما جذور ضاربة فى التاريخ والمجتمع ، ولكنهما الآن تتمتعان بسيادة قانونهما ·· الفئة الأولى هى الشرعية الكمبرادورية من البرجوازية الكبيرة ، والفئة الثانية هى الشرعية الدنيا من البرجوازية الصغيرة ، والتى يطلق عليها فى العادة تسمية البروليتاريا الرثة · ان ازدهار هاتين الفئتين من « تجار الشنطة » الكبار والصغار ، يصوغ الاطار الاجتماعى للاسلام المعاصر فى مصر الآن ·

وهكذا لن يعود الاسلام الاخوانى منذ عام ١٩٦٧ ، وأساسا مع بداية السبعينات ، هو الممثل الشرعى الوحيد للاسلام السياسى · الحذر (استيراد الأفكار الباكستانية والهندية والافغانية وغيرها ـ التحالف مع الدكتاتورية والاضطراب الاجتماعى ـ الارهاب) هو الذى سيوحد من الآن فصاعدا بين « الجماعات » توحيدا هشا ، اذ سرعان ما تتفرق تحت ضغط المتغيرات الاجتماعية المتلاحقة ومتغيرات حركة السلطة · وسيصبح الاخوان المسلمون أنفسهم متهمين لدى الجماعات الأخرى بالمروق والتميع ·

ولكن الاستقامة المنطقية للجماعات وفكرهم ، لن تؤدى بهم فى الأغلب الى التوحد مع اسلام الشعب الجاهز لاستقبالهم ، ولا الى التوحد مع اسلام السلطة العاجز عن استقبالهم ، ولا الى الاشتراك فى السلطة التى تنظر اليهم كملحقات لاسلامها عند الضرورة وكعقبات يجب ازاحتها عند الضرورة أيضا ·

ولكن ما لا شك فيه ان المأزق كان وما يزال أكثر تعقيدا وتنوعا • فالغرب والسلطة المحلية يدركان ان المعادلة القديمة مستحيلة القيام على صعيد الفكر طالما انهم قتلوها على صعيد الاقتصاد والمجتمع والسياسة • وبالتالى « فالايمان » الذى يجاور « العلم » فى شعار دولة السادات لم يكن طرفا فى معادلة جديدة بديلة ، وانما كان غطاء ذهبيا للغرب الذى استبدله لفظيا بكلمة « العلم » هذا الغطاء يشبه المصيدة المزدوجة لاصطياد الاسلام الشعبى من جهة ، والاسلام السياسى من جهة أخرى ـ كلاهما لتأييد الثورة المضادة ، واحدهما ـ الاسلام السياسى ـ لضرب معارضيها •

النص الكامل

والاسلام السياسى من جانبه لم يكن طرفا فى معادلة قديمة ، ولا يبحث عن دور فى معادلة جديدة ، لأنه يرى نفسه النص المكتفى بذاته ، ويرى فى الآخرين الذين يتمسحون بأهداب الاسلام شراذم من الغرباء والطفيليين (يتساوى فى ذلك الأزهر والماركسيون السابقون والقوميون التائبون) •

الثورة المضادة اذن هى الغرب منفردا • ومراكز الضغط على دائرة القرار ليست أكثر من الوعاء البشرى والقانونى والمصلحى لهذا الغرب وهو الوعاء الذى لم يستح يوما من زخرفة جدرانه برسوم الناصرية ، ويوما آخر بالاشتراكية الديموقراطية ، ويوما ثالثا بالوطنية المصرية ، وهكذا • انه لا يبحث عن معادلة مستحيلة ، ولكنه يبحث عن مقومات شبه فكرية تبرر « خطواته اللاعقلانية » ولا أقول التكتيكية لأن هذا يعنى ان هناك استراتيجية • بينما الاستراتيجية يملكها مصدر واحد هو الغرب • وهى استراتيجية قديمة جديدة مستمرة منذ الحروب الصليبية الى الحروب الصهيونية تستهدف السيطرة على مصر بعزلها عن المحيط القومى ، وانهاكها للسيطرة على مفتاح الشرق الأوسط وأفريقيا •

وهى الاستراتيجية التى لا تنتهى بعزل مصر عن انتمائها القومى ، بل تحقق هذا الانسلاخ على الأرض بقيام نظام شرق أوسطى يضم « اسرائيل » • وليست مصر فى هذه الحال الا العمود الفقرى الذى ينكسر فتشل بقية الأطراف ، وليست صدفة هنا أن حرب لبنان تواقتت مع مراحل استسلام النظام المصرى لقوى الثورة المضادة •• التى لم تكن قط ثورة مصرية مضادة ، بل ثورة مضادة للأمة العربية فى مصر ولبنان أولا (ولأسباب جيوبولتيكية) وبقية الأقطار العربية ثانيا وما حولها فى آسيا وأفريقيا وأجزاء من أوروبا المتوسطية ثالثا ».

ولا « تبرير » مصريا لقبول « اسرائيل » عضوا فاعلا بل مهيمنا فى أسرة الشرق الأوسط الا باستقامة الفكرة المصرية والغاء « الوطن العربى » وهويته القومية • لذلك تصبح الشوفينية العرقية أو الطائفية هى الاطار المرجعى لركائز الثورة المضادة فى بلادنا ، لا تعود الفكرة الوطنية المصرية القائلة « بوحدة الهلال مع الصليب » فى مواجهة الاحتلال والطغيان ، بل تسمى الفكرة المصرية المعادية القومية العربية •

وهنا يلتقى الاسلامى الأممى مع الوطنى الليبرالى مع المسيحى القبطى حول دولة « العلم والايمان » ولكن المشكلة تبدأ حين يمتد « ايمان » هذه الدولة حتى ليشمل العدو الصهيونى بصفته « عدوا له » هنا تصبح القدس لا فلسطين — رمزا للمواجهة بين الاسلام الأممى والمسيحية القبطية من جهة ، وبين دولة العلم والايمان من جهة أخرى •• »

فتح الملفات

وفى الوقت نفسه ، فان هذا « الصلح » مع العدو « الصهيونى » يفتح الباب واسعا لمواجهة أخرى بين الاسلام السياسى والوطنى

« المسيحى » ، لا عبرة هنا بأية محاجاة عقلية حول عداء اليهود للمسيحية منذ بدايتها ، ولا عبرة أيضا بأية محاجاة وطنية حول مصرية المسيحى الذى يحتفظ للآن باسم « القبطى » وهى اللفظة القديمة التى تعنى المصرى ، لا عبرة لذلك كله ، لأن صلح « الدولة » مع دين غاصب يسمح بفتح الملفات المغلقة فى الأعماق مع دين آخر ، طالما أن النص الدينى هو الذى يحكم الرؤيا .

ولقد رحبت دولة العلم والايمان فى البداية وساهمت الى ما يقرب النهاية فى تسوية هذه الرؤيا التى يمكن أن تحجب النظر الشعبى الواسع عن جريمة الصلح وما سبقها وما تلاها من جرائم .. ولم يفزع من الإحداث الطائفية سوى الاتجاهات الليبرالية والناصرية اليسارية .. ومن المفارقات التى تحتاج الى تأمل عميق أن الشعب نفسه لم يعبأ فى البداية ولعدة شهور بغضب الاسلام السياسى من زيارة القدس المحتلة . ولكنه فى الوقت نفسه لم يسمح لايديولوجية الفتنة الطائفية أن تستثيرى .. فعندما هاجم السادات القيادة البابوية علنا وقال ما لا يحتاج أى مصرى الى تأكيده من « اننى رئيس مسلم لدولة اسلامية » ثم تطاول على فريق أصيل من مواطنى مصر قائلا « والأقباط سكان فى مصر » تخيل أكثر المرافقين ذكاء أن حربا أهلية على الطراز اللبنانى قد أعطيت الضوء الأخضر .

ولكن الذى حدث كان مذهلا ، فقد توقفت الفتنة الطائفية على الفور ، وطيلة العام الأخير كانت أغلب النصوص تعود الى ذاتها لترى أنها « لا تطابق استراتيجية الثورة المضادة .

وبدت الأمور عامى ١٩٨٠ و ١٩٨١ (عام التطبيع) كما لو أن مصر كلها فى جانب ، والثورة المضادة فى جانب آخر ، باستثناء اطارها الاجتماعى الثابت والمتحرك معا (الشريحة العليا الكمبرادورية من البرجوازية الكبيرة وقاعدتها من الشرائح الدنيا من البرجوازية الصغيرة) .

وهو الاطار الذى حاول من قمة السلطة وأجهزتها ومؤسساتها أن يدمر الإطار الاجتماعى الســـابق على السبعينات ، بالتشريع والاجراء والقرار ، وقد نجحت محاولته الى حد كبير ، وساهم فى تسريعه وتكثيفه زمن النفط العربى ‥ فلم تعد المسألة أن هنـــاك شريحة عليا مستفيدة ومتربعة على عرش الحكم ، وأن هناك شرائح دنيا مستفيدة من موائد السادة ٠ وانمـا أضـحت هنـاك هياكل اقتصادية كاملة وبنى اجتماعية وموازية ، مضطرة للتعامل مع هذا الواقع الجديد ، ومن هنـــا فالازدهـــار الطفيلى لقطاع المقاولات والتشييد وقطاع الاستيراد والتصدير وقطاع السلع الاســـتهلاكية والخدمات قد أثر بشكل حاد على مختلف قطاعات الانتاج وانماط ووسائل عملها ، بحيث هنـــاك « مجمع كامل » له أسسه البنيوية المتفاعلة تلقائيا مع بعضها البعض ٠ وانه أيضا ظواهر فى العلاقات والقيم والعادات والتقاليد أنه مجتمع السقوط ٠

الفـــراغ

وهو المجتمع الذى لم يكن منصوصا عليه فى معادلة قديمة أو جديدة ‥ أما أصحاب النصوص القديمة وجدوا أنفسهم فجأة فى الفراغ بلا ركيزة من السلطة أو من الشعب ، وقد كان هو الموقف نفسه الذى رأت فيه دولة الثورة المضادة نفسها فى استقطاب حاد يفصل النظام عن مجمل الرموز اللامعة للنصوص التى ساندته هذه الفترة أو تلك ، والتى عارضته أقصر الوقت أو طول الوقت ، هكذا يصبح الثالث من سبتمبر ـ أيلول ١٩٨١ تاريخا ممتازا على هـــذا الوضع الذى آلت اليه الأمور بعد عشر سنوات فقط من بدء مسيرة الثورة المضادة ‥ ففى ذلك اليوم وقع السادات وثيقة انتحاره ، وكان الوهم انه يوقع وثيقة انتصاره ٠ فى ذلك اليوم قام باعتقال الاسلام السياسى والكنيســـة القبطية والنص الليبرالى والناصرى والماركسى والقومى العربى ، دفعة واحدة ، ومعنى ذلك ، أكرر ، أن مصر كلها أمست رسميا فى المعتقل ٠

ومن الطبيعي أن يكون الاسلام السياسي القريب من وجـــدان الشعب ولكن المعزول عن أى مشروع للمستقبل ، هو المرشح تاريخيا لاعدام نجم الثورة المضادة دون أن يؤدى ذلك الى اعدام النظام ، وسيبقى خالد الاسلامبولى فى المخيلة الشعبية المصرية بطلا اسطوريا كأدهم الشرقاوى وسليمان الحلبى وياسين ، لأن اختياره يبقى الرمز والاشارة التى تتجاوز البنية الداخلية لمنطق الاسلام السياسى ، وهو الرمز الذى سيريح كافة النصوص الباحثة عن بديل ٠

غير أن هذا الوهم ينقشع تدريجيا أمام علامات لاتخطىء : اعدام الاسلامبولى ، الاصرار على ابعاد الانبا شنوده ، نجاح الغزو الصهيونى للبنـان ، تجـريم كتابات هيكل ويوسف ادريس (كتب يوسف ادريس فى ربيع ١٩٨٣ سلسلة مقالات عنوانها « البحث عن السادات » هى تعليق مطول على مذكرات وزير الخارجية الاسبق محمد ابراهيم كامل ٠ وقد حاكم المجلس الأعلى للصحافة يوسف ادريس فى الجلسة ذاتها التى حاكم فيها هيكل وأدانه فى الوثيقة ذاتها) اضافة قانون الطوارىء وقانون نقابة المحامين وقانون منع نشر الوثائق قبل عشرين عاما ، وقانون المطبوعات ، الى قائمـة التشريعات المضادة للديموقراطية فى عهد الســادات ، استمرار التطبيع مع العدو الصهيونى بقدم ثابتة ، استمرار التبعية للغرب لدرجة تسليم الاقتصاد المصرى نهائيا الى عجلة الاحتكارات الغربية ، اعتراض الأزهــر على كتابات لـويس عـوض وتوفيق الحـكيم وزكى نجيب محمود ٠

ولم يكن هؤلاء جميعا ، بالاضافة الى سعيد صالح وعصمت السادات ورشاد عثمان وتوفيق عبد الحى ، بالخوارج الجـدد ٠ كانوا ــ كل حسب ميدانه ــ خارجين على « قانون » لايتصورون أنه « القانون » وعلى « نص » لا يتخيلون أنه « النص » ٠

كان النص السياسى للاسلام الامنى لايتخيل أن كلمات السادات

التالية هي القانون ... الاسلام دين ودولة صحيح أى نعم ، ولكن لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة » فهى كلمات تحمل جرثومة فسادها المنطقي بوضوح تام أقرب إلى السذاجة .

القدس

وكان النص الكنسى القبطى لايتخيل ان « الحج » المسيحى المصرى الى القدس من اختصاصات رئيس الجمهورية ، فهى مسألة دينية لايجوز التدخل في تفاصيلها من قبل الحاكم حتى ولو كان مسيحياً ، وبالتالى فمنع المسيحى المصرى من الحج الى العاصمة الفلسطينية المحتلة هو حق دينى للبابا مهما تعارض مع سياسة « التطبيع » للدولة التى لايتدخل فى شؤونها .

وكان النص الاقتصادى فى تشريعات « الانفتاح » وفى حدود الاطار الاجتماعى لدولة التبعية الاقتصادية للأجنبى يسمح لصنمت السادات وتوفيق عبد الحى ورشاد عثمان وغيرهم من بناة هذا الاطار أن « يبدعوا » فى التطبيق ، ويتوسعوا فى التأويل كما يشاؤون ، مهما سمى ذلك « بالفساد » ... فهذه الكلمة فى النهاية مصطلح اخلاقى ، بينما ما يمارسونه هو الاقتصاد والسياسة فى حدود القانون الذى أصدروه بأنفسهم وأعوانهم وموظفيهم فى أجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع ، فلماذا يكونون وحدهم « كباش الفداء » لنظام مستمر على نفس النهج ، وكأنهم من نتاج « البصمة » المغايرة لبصمة السادات مع بقاء دولة الشقيق على حالها وأكثر .

وكان النص الاجتماعى هو الذى وفر مسرحا أقرب الى الكبارية ، فاذا « اندمج » سعيد صالح فى دوره ، فأنه أكثر أمانة مع النص الاجتماعى منه مع النص المسرحى ، ولكن الرقيب يضطر ، الى محاكمة سعيد صالح تماما كاضطرار المدعى العام الاشتراكى لمحاكمة « الفنانين » رغم أن هذا الفنان هو الأكثر اخلاصا ودقة

وفهما لروح وحرفية النص الاقتصـــادى ـ الاجتماعى ـ السياسى للثورة المضادة ٠

وكان النص الادريسى والهيكلى رصـاصـة ليبرالية فى قلب السادات توازى سياسيا رصاصة الاسلامبولى ، ومثله لايستهدف أيهما قتل ٠٠ النظام فى أسسه العميقة ، بل تعديله الى ما يشـبه الناصرية أو ما يشبه الليبرالية ٠ ومن هذه الزاوية فهما يلتقيان فى منتصف الطـريق مع توفيق الحـكيم وليس عوض اللذين يتوهمان احياء محمد عبده أو عبد الرازق أو طه حسين ٠

الخروج على القانون

وبالرغم من أن « الخارج » مفرد خارجين أو خوارج ، الا أن الخارج على القانون أضحى مصطلحا شائعا عن درجة أقل جذريا بكثير من قولنا « الخوارج » فالتعبير الأول يعنى شذوذا جزئيا فى نقطة أو نقطتين ، أما الثانية فأضحت تعنى الخروج الشـامل على مجمل النظام القائم ٠

لذلك فصراع النصوص الراهن والعـــالى الضجيج فى مصر الآن ، يعنى أولا أن المواجهة الجديدة والأولى بينهما وبين الثـورة المضادة قد أوشكت ، ويعنى ثانيا أن أصحاب هذه النصوص بشكل عام هم خارجون على نص غير موجود لاخوارج على نص قائم ٠

وأن الخلاص الوحيد الممكن هو الخـروج كليا على النص ، وليس البحث عن باب النجدة أو عن مقص يتناول النص بالتعديل ، والخروج كليا على النص لن يكون فكريا أو اعلاميا بل وطنيا وشعبيا وقوميا فى ابداع المعادلة البديلة لمختلف النصوص ٠

وهى العدالة التى تصوغ « المجتمع المدنى الحديث » ٠

الارهاب ليس معارضة سياسية

د • غالى شـــكرى

كانت الشرارة المعاكسة للنهضـــة قد تكونت اجتماعيا وثقافيا من الهامش الطبقى العريض بين درجات السلم البرجوازى لحظـــة نهاية المعادلة البرجوازية للنهضة القاتلة بالتوفيق بين الاســـلام والغرب • جاء حسن البنا ليحل المعادلة فقال بالاسلام فحسب ، الاسلام النقى من محاولات الاصلاح الدينى دون اجتهاد •

ولا شك أن التخلى عن أحد طرفى المعادلة لم يكن حلا للمعادلة الصعبة ، ولكن اقصاء الغرب لقى استجابة واســـعة فى صفوف الجيل •

لماذا ! لأن البرجوازية بدأت تفقد أرضها الفكرية الليبرالية ، ولأن التكوينات العمالية الهشة لم تكن شيدت عمارتها الفـكرية • ومن هنا كان اعتماد حسن البنا على الفلاحين والموظفين والقادمين من الفلاحة والوظيفة الى الجيش والجامعة •

ويجب أن نلاحظ ان صعود وهبوط ثورة ١٩١٩ المصرية كان موازيا لصعود وهبوط ثورة العشرين فى العراق وثورة ١٩٢٥ فى الشام وغير ذلك من انتفاضات الثورة العربية ، ومن ثم فرغم الولادة المصرية للاخوان المسلمين الا انها كانت فى حقيقة الأمر ولادة عربية

سرعان ما أخذت طريقهـــا فى الثلاثينات والأربعينات خارج وأدى النيل ٠

ويجب أن نلاحظ أيضا أن نشأة حركة الاخوان وتطورها مع افلاس الليبرالية المصرية الرسمى عام ١٩٣٦ قد فرض نفسه على مفكرى البرجوازية الذين توجهوا فورا الى الاسلام (هيكل ـ الحكيم ـ العقاد ـ طه حسين ٠٠ الخ) ، ولكن العقلانى لدى هؤلاء ما كان يستطيع الصمود أما دعوة الاسلام الصافى الذى يتجاوز الدوائر الضيقة للمثقفين ليخاطب ملايين الأميين وانصـــاف المتعلمين فى المساجد والاجتماعات العامة والخلايا السرية ٠

ويجب أن نلاحظ ثالثا أن صعود الاخـــوان المســـلمين بين الثلاثينات والأربعينات قد صاحب صعود النازية الألمانية والفاشية الايطالية قبيل الحرب العالمية الثانية ، وكان من الطبيعى لحسن البنا أن ينتصر تنظيميا على المســوخ المصرية للفاشـــية كحزب « مصر الفتاة » ، لأن الاخوان ليست تنظيما اقليميا من ناحية ولا غربيا من ناحية أخرى ، فهى تستمد فكرها من الشرق ، من أين ؟ من أبى الأعلى المودودى الباكستانى ، ومن أبى الحسن الندوى الهندى على وجه التحديد ، أى من تجربة انفصال قومى بعيدة عن العرب ٠

ويجب أن نلاحظ رابعا ان النشأة والتطور كليهما كانا تأييدا للحكم الملكى والانكليز تارة والألمان تارة أخرى ، وجميع الحكومات الديكتاتورية فى معظم الأحوال ، وكانت المعارضة الثابتة للجماعة ضد حزب الوفد والمنظمات اليسارية ٠

كانت المبادىء عن « حكم الله » وكانت الوسيلة هى الهداية أو المسدس ، ولم تكد تنتهى الأربعينات حتى كان حسن البنا نفســه قد اغتيل عــام ١٩٤٩ وتراكـــم العنف حتى احترقت القاهرة فى ٢٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٢ ٠

وعندما أقبلت ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ لقيت استجابة حارة من الشارع الشعبى فى مصر ، اقبلت بعد هزيمـة الليبرالية المصرية من ناحية ، والافلاس الاخوانى من ناحية أخـرى ، اذ ان مرشحى الجماعة سقطوا سقوطا ذريعا فى أكثر الانتخابات النيابية حرة عام ١٩٥٠ ، ولذلك اتجهوا الى بعض الكنائس ، فى الوقت الذى كانت مصر فيه تستعد لحربها الفدائية المجيدة على ضـفاف القنال ٠

اقبلت الثورة الناصرية وهى على وعى ضبابى غائم بأن معادلة النهضة انتهت ، وأن الحل الاخوانى ليس حلا ، لذلك رأت فى القومية العربية مدخلا الى قيام معادلة نهضـوية جديدة والتحول الاجتماعى التدريجى والسلمى نحو تنمية اقتصادية منضبطة ، وبالرغم من أن الاخوان لم يكونوا بعيدين عن النسيج السـياسى والفكرى لثورة يوليو ، الا أنهم تصدوا للتجربة بالسلاح مرتين مشهودتين ، الأولى عام ١٩٥٤ ، والثانية عام ١٩٦٥ ، وقد تصدت لهم الناصرية بالقمع أيضا سواء بشنق الأقطاب أو بسجن وتعذيب غالبية القواعد ٠

فى عام ١٩٦١ بوهن الانفصال المصرى السـورى على أن الناصرية لم تجب على سـؤال الديمقراطية السياسية ، فانسحبت (أقصد الناصرية) الى الجواب الاقتصادى الاجتماعى بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ فى الاطار الاقليمى ، وكانت النتيجة هى أن هـذا الجواب الصحيح فقد صحته عدة مرات ، الأولى لأن دقت سـاعة العمل الثورى عنت لـدى عبد الناصر ضرب الفئـات العليـا من البرجوازية ، وتسليم حاصل المضروب ـ القطاع العام ـ لبيروقراطية عسكرية وتكنوقراط أهل الثقة ، فكانوا هم دون غيرهم نواة التحالف مع القطاع الخاص وولادة ما سماه عبد الناصر نفسـه بالطبقة الجديدة عام ١٩٦٥ ، ولكن الزمن قد فات ، فقد كان عام نهاية خطة التنمية الأولى وانعدام القدرة على بدء خطة تنمية جديدة ، والمرة

الثانية هى تحويل الاتحاد القومى الى اتحاد اشتراكى يجمع الأفراد ويمنع الطبقات والشرائح الاجتماعية من التنظيم المستقل ، مما سمح بمراكز القوى الطبقية والتى كانت هى ذاتها قوى القهر والقمع ·

والمرة الثالثة ، لأن استبدال القطرية بالرؤية القومية ـ ولو مؤقتا ـ كان يسحب أهم رصيد وأخطر اضافة للناصرية لانقاذ والتحرير القومى هو الديمقراطية ، وان لا تنمية لأوسع الجماهير النهضة ، فلم يتولد قط فى هذه الرؤية ان الجسر الوحيد بين التنمية الا بالوحدة القومية مهما تعرضت للانتكاس ·

والمرة الرابعة لأن القومية العربية وهى هوية العرب جميعا لا تتجسد فى الدولة البرجوازية المنقوعة أصلا فى الاقليمية ، هزيمة ١٩٦٧ لهذه الأسباب مجتمعة كانت المناخ الأول فى الاطار العربى الاسلامى الذى هيأ التطور الجديد للاخوان المسلمين وغيرهم من الجماعات الاسلامية · فقد خاب الرجاء الاجتماعى فى الاشتراكية التى لم تطبق وكأنها المسؤول عن الهزيمة ، وخاب الرجاء السياسى فى القومية العربية التى ضربت وكأنها المسؤول عن الهزيمة ، وكما برزت الليبرالية من جديد وكأنها الجواب على أزمة الديمقراطية الناصرية ، برز التدين السياسى وكأنه الجواب على الفساد والاشتراكية والانفصال القومى ·

والاتجاه الدينى حاضر فى مختلف التيارات السياسية ، ولكننى قصدت ذلك الاتجاه الدينى ـ السياسى القائل بالأوتوقراطية والثيوقراطية معا ، أى الحق الالهى فى الحكم ، وتحويل المجتمع الى كهنوت عسكرى ، وهما المقولتان الأساسيتان فى الفكر المستورد من المودودى والندوى (من المفارقات الشائعة أن الاشتراكية فكر مستورد بالرغم من ان الصراع الاجتماعى بين الطبقات أو الشرائح أو الفئات البشرية ليس مستوردا ، واكتشاف قوانينه لا يعنى صنعه ،

بينما الحقيقة أن الفكر المتطرف بالعنف هو الفكر المستورد ولا علاقة له بأصول الفكر العربى) ٠

ساعد الظهور الجـــديد للجماعات الارهابيـــة المتطرفة أن الناصرية لم تحل جوهر مسألة العلاقة بين الاسلام والغرب ، وأن تيار الاصلاح الدينى قد انقطع بمصادرة الاسلام وأصول الحـكم أيام الملك فؤاد وعزل خالد محمد خالد أيام عبد الناصر ٠

ساعدها كذلك أن مواجهتها بالقمع وحده حولها الى رمـــوز للشهادة فى سبيل الله ، وساعدها أخيرا أن الدولة الناصرية ذاتها سقطت ، وأن الثورة المضادة ــ بقيادة السادات ــ قد تسلمت زمام الحكم ٠

كلها عوامل مساعدة ولكن الأصل هو هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، التى كانت هزيمة عربية لا مصرية أو سورية ، ومن ثم كان الجواب المتطرف بالعنف ــ امتـــدادا ســـكونيا لهزائم العشرينات والثلاثينات ــ جوابا عربيا ، فالاخوان المسلمون ومترادفاتهم ظاهرة عربية شــــاملة ، وان انطلقت من مصر ، ليست ظاهرة معارضـــة الديكتاتورية أو الاستعمار ، وان عارضت الوفد واليسار قديما ، فقد عارضت الناصرية واليسار وبقية المترادفات حديثا ٠

العنف مظهر ضعف ودليل عجز

عبد الغفار عـودة

مع موجة العنف والارهاب فى مواجهة الأقلام تقفز الى ذهنى على الفور مقولة فولتير الشهيرة :

« على الرغم من اننى اختلف معك فى الرأى ٠٠ الا اننى على استعداد لان أدفع عمرى ثمنا لتدافع عن رأيك ٠٠ »

هذا هو أدب الحوار ٠٠ وتلك أصوله ٠٠ ولكننا فى الفترة الأخيرة ٠٠ فى مواقع مختلفة وعلى مستويات متعددة ـ للأسف الشديد ـ قد تجاهلنا هذا المنطق وضربنا عرض الحائط بتلك التقاليد ٠

فعندما يتعرض واحد منا لقضية ويبدى رأيا ٠٠ يكون رد الطرف الآخر ٠٠ اتهاما ٠٠ وسبا وقذفا ٠٠ وتجريحا واهانة ٠٠ وربما عنفا وارهابا بديلا عن الكلمة ٠٠ وننسى القضية الأصلية المثارة !! وعندما يمارس شخص منا شجاعته الأدبية فى مواجهة خطأ فادح ٠٠ أو بحثا عن شرعية غائبة ٠٠ أو احقاقا لحق يوشك على الضياع ٠٠ يصبح من وجهة النظر الأخرى ٠٠ مشاغبا ٠٠ مثيرا للمشاكل ٠٠ حاقدا ٠٠ معطلا لمسيرة ٠٠ فاشلا ٠٠ بل ويستحق القتل ٠

والوصول الى هذه الدرجة يعنى اننا وصلنا الى مستوى من العجز لم نعد معه قادرين على رد افتراءات المفترين والمنافقين وأوهام الكاذبين ·

وليت الأمر يقف عند هذا الحد ·· بل ان هذه الاتهامات تخيف الآخرين فيفضلون الصمت فى مواجهة الخطأ أو مشاركه الطـرف المهاجم ·· وغالبا ما يكون الاقوى ·· خوفا من اتهام مماثل ينوشهم ·· أو حرصا على مكاسب شخصية أو دعما لعلاقات خاصة متناسين ان الساكت على الحق شيطان أخرس ··

يا سادة الأسلوب هو الرجل نفسه ·

فكيف تريدون من الآخـــــرين ان يحترموا رأيكم ·· وأنتم لا تحترمون رأيهم ··

يا سادة ·· لكل نهر شاطئان ··

وهناك دائما ·· مساحة للاختلاف والاتفاق فى أى حوار ·· حول اى موضوع ·· أو قضية ··

وليس من الصالح العام ان نحيل الاختلاف الموضوعى ·· الى خلاف شخصى ·· والى عنف وارهاب ·· حتى لا تضيع قضايانا ·· ونتفرغ للتراشق والتجريح ··

يا سادة ··

انتبهوا ·· حتى لا نردد بعد فوات الآوان –

« لعن الله قوما ضاع الحق بينهم »

علاج مشكلات الشباب يقضى على التطرف

المستشار : زكى شنودة

يخالج المصريين شعور لا يفتأ يزداد وضوحا بأن ثمة غيمة سوداء شديدة السواد تقترب ثم تقترب من سماء بلادهم ، وان ريحا تشتد حينا ، وتبطىء حينا آخر تدفع تلك القيمة فى جو أرضهم الطيبة ، لتمطرهم فى وقت قريب أو بعيد بوابل من النار والدمار ٠ أو لعلهم يشعرون بأن الجو من حولهم لايفتا يتعبا بما يشبه الغازات الثقيلة التى توشك أن يندلع منها فى أى لحظة لهيب رهيب ، فان المشاكل تتراكم دون ان تتوقف هنيهة ، وتشتد دون ان تخف منها مشكلة واحدة ، حتى لقد أصبحت حلقاتها تتشابك فى سلسلة واحدة حديدية ضخمة تحيط برقابنا جميعا وتطبق على أنفاسنا حتى لتوشك أن يؤدى بنا الى الاختناق الكامل ٠

فالأزمة الاقتصادية أصبحت كالمرض الذى لاشفاء منه ، وانما يزداد وطأة يوما بعد يوم ، وأسعار الضروريات التى لا حياة بدونها ترتفع وترتفع كما توالى حرارة المريض ارتفاعها حتى درجة الخطر الذى يطل من ورائه شبح الموت ٠

وهذه هى قيمة الجنيه الذى ظل يتضاءل ويتضاءل حتى أصبح لا يساوى أكثر من عشرة مليمات ، فى حين ظلت الأجور فى أيدى

الغالبية العظمى من الشعب ثابتة فى مكانها وقد أصابها الشلل فهى لاتخطو الى الامام وان خطت خطوة كل بضع سنوات ، سبقتها الأسعار فى السباق مئات الخطوات ، بل آلاف الخطوات ، وهكذا ظل الميزان بين الأسعار والأجور ، مختلا دائما ، فالاسعار فى أعلى عليين والأجور فى أسفل سافلين ، والناس حيارى مساكين يانسون يانسون ، مساجين فى سجن الفقر اللعين ، لا يملكون منه فرارا ، ولا يطيقون البقاء فيه ولو الى حين ·

ولو احتمل الناس شد الاحزمة على البطون ، والرضاء بأقل القليل من الغذاء ، وبايسر اليسير من الرداء ، فانهم لا يحتملون الحياة فى غير مسكن يأويهم ، وقد ارتفع ايجار المساكن بصورة بلغت حد الأساطير ، كما بلغ ثمن شرائها حدا يجعل العقل يطير ، حتى أصبح من المستحيل على أى شاب ولو حمل أرفع الشهادات والمؤهلات ان يجد مسكنا يقيم فيه مع زوجة له ، ومن ثم أصبح من المستحيل عليه ان يتزوج وان تكون له أسرة فى يوم من الأيام ··

والتعليم الذى هو دعامة المجتمع وضمان سلامة الأخلاق تدهور ثم تدهور منذ زمان بعيد حتى أصبح خطرا يهدد المجتمع ويساعد على مزيد من فساد الأخلاق ، بل انه أدى الى فراغ رهيب فى عقلية الشباب ، جعلهم يرتمون فى احضان اليأس القاتل والاحباط الشنيع ، مما أدى بهم بدورهم لان يملاوا ذلك الفراغ بالأفكار الهستيرية التى تدفع بهم ان لم يكن الى الجنون أو الانتحار ، فانها تدفع بهم الى اعتناق المبادىء المتطرفة الى أقصى اليمين أو الى أقصى اليسار ، وفى الحالتين تحرضهم على استخدام القوة والاعتداء ، فيما فشلوا فى تحقيقه بالعلم والعقل والمنطق ·

هذه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية ليست وحدها هى بيت الداء أو موطن الخطورة فيما نحن فيه من أزمة عارمة ومتفاقمة ، وانما يزيد خطورتها ويفاقم عاقبتها عامل

آخر لعله هو ابشعها واشنعها وهو تلك المؤامرات الخفيــــة التى يحيكها اعداء مصر فى الظلام ليحطموا هذا الوطن ويشنتوه ويفتتوه ويجعلوه يركع على ركبتيه فى اســــتكانة ومذلة أمــــام الطامعين والطامحين والمستعمرين والمتآمرين من كل جنس وكــــل لون ، فهم لايفتأون يؤججون لهيب الخلافات الطائفية والمذهبية بين الشــباب مستخدمين امكر وانكر طرق الاغراء وتفريغ العقول من كل علم نافع وكل دين صحيح ليملأوا فراغ تلك العقول بعد ذلك بكل هراء وكل فكرة نكراء ، ثم ليدفعوا بها بعد ذلك الى كل جريمة اثيمة وكل عداء وكل اعتــــداء ، ولو أدى ذلك الى القتل والقتال ، والى الغــــدر والاغتيال · ثم ان أولئك الاعداء الالداء لمصر من القوى الدولية ذات الأغراض الدميمة الذميمة ، يستعينون على مقاصدهم الاجرامية تلك بان يغرقوا بلادنا بالمواد المخدرة التى لا تفتا تتدفق علينا وتجتاحنا اجتياح الأوبلة الفتاكة ·

فاذا ادركنا حقيقة ما نحن فيه ، وتوصلنا الى جذور الاحداث التى نعيشها ونعانيها وأردنا ان تنقشع عنا تلك الغيمة السوداء أو تلك الغمة التى تدنو منا وتهددنا أصبح من أوجب الواجهات علينا نحو شبابنا الذين هم ضحية كل تلك المشكلات التى أوضحناها ان نبادر قبل ان نلوم أولئك الشباب على ما يفعلون من أعمال عنيفة أو متطرفة ، ان نبادر حكومة وشعبا الى علاج تلك المشكلات التى يعانيها أولئك الشباب علاجا جذريا ، وذلك بأن نهيىء لهم تعليما سليما وتربية صالحة ، ثم نهيىء لهم بعد ذلك مجالا كريما للعمل والكسب الحلال يبتعدون به عن حالة اليأس والاحباط التى يكابدونها والتى تؤدى بهم الى الضياع أو الى اتباع طريق الشر والاندفاع الى أعمال الطيش والانحلال أو العنف والاغتيال · فلو امتلات عقولهم بالعلم بدلا من الجهل ، وبالخير بدلا من الشر ، ووجدوا العمل الذى يوفر لهم كسبا حلالا يمكنهم به ان ينفقوا على أنفسهم بدلا من ان يظلوا عالة على أهلهم ، ويمكنهم به ان يجدوا المسكن الذى يتيح

لكل منهم الزواج وتكوين أسرة يشغلون بالمسئولية عنهـا وقتهم ، وينشغلون بها عن الأفكار الرعنـــاء التي تراودهم بسبب فراغهم ويأسهم وشعور الاحباط الذي يسيطر عليهم ، يستطيعون عندئذ ان يتحولوا الى عناصر نافعة لأنفسهم ولوطنهم ، بدلا أن يكونوا عناصر هدم وتخريب وتهديد لمستقبلهم ومستقبل بلادهم ٠

في مواجهة العنف ..

لم يعد الصمت جائزا

د . عبد المنعم المشاط

الفكر .. ضد الارهاب والكلمة .. ضد الرصاص

أصبح التطرف والارهاب خطرا متزايدا يستحق بل يوجب المواجهة الوطنية الشاملة لأن استمراره يهدد حاضر هـذا الوطن ومستقبله ، وفي هذه المواجهة فان جميع القوى الوطنية على اختلاف وتعدد مواقعها ، مطالبة بالاهتمام أولا بالقضـية ، وبالمشـاركة الفعالة ثانيا .

وفي هذه المواجهة فان الكلمة عرضا للرأى وحوارا مع الرأى الآخر ، لها دورها الكبير والأساسى ، ولهذا ، تفتـح الجمهورية أبواب العرض والنقاش والحوار حول هذه القضية دون قيد على فكرة أو حجر على رأى ، ايمانا بأن الحوار هو الطريق الذى يفتح الباب للقضاء على التطرف ولمواجهة الارهاب .

وعلى هذا الأساس فان كل صاحب رأى ، مدعو الى المشاركة فى هذا الحوار الذى لا غنى عنه حتى نواجه الارهاب بالفكر ونواجه الرصاص بالكلمة .

لا شك أن مصر تحتـاج اليوم وأكثر من أى وقت مضى الى

مشاركة فعالة من جانب مفكريها وعلمائها وكافة أبنائها بقصد احتواء ظاهرة العنف الجديدة على المجتمع المصرى والغريبة عنه . بيد أن تلك المشاركة الفعاله تتطلب شروطا لا غنى عنها. فالقلم أمانة واخلاصا ويتطلب ارتقاء بلغة الحوار ويشترط كذلك أن يدرك الكاتب أن ما يكتبه يقرأه الناس ويفهمونه كل على هواه وكل حسب درجة تعليمه وكل حسب انتماءاته أو تحيزاته الفكرية والعقائدية ، من ثم يجب أن يكون ما يكتبه المشارك واضحا بسيطا راقيا وأمينا ، ومن ناحية أخرى ينبغى أن يكون هناك هدف من وراء المساهمة بالكتابة والهدف يجب أن يكون مصر ومصلحتها القومية العليا وأبغض الكتابة هى تلك التى تستهدف حزبا أو جماعة أو فئة أو مرحلة أو فترة زمنية دون أن يكون هدفها المجتمع ككل والمواطن كافة ، من هذا المنطق كان لابد من الاستجابة لدعوة الجمهورية بالكتابة حول ما يدور فى مصر اليوم من أحداث عنف وعنف مضاد وهى أحداث يجب احتواؤها وعلاجها وحلها قبل أن تتحول الى سمة تلصق بمصر حاضرا ومستقبلا .

● أول ما نلاحظه على عدد من الكتاب والكتابات هو تدنى لغة الحوار وعنفها وافرز ذلك كله تصنيفات وخلق فئات ، وقسم الناس الى مجموعات . وعنف الحوار يتضح من الاتهامات التى تطلق دون توفيق وفى بعض الأحيان صار الحوار استفزازيا ليس لجماعة ما فقط ولكن للمواطن العادى الذى يتابع ويراقب . والعنف والاستفزاز فى لغة الحوار لابد أن يولد عنفا واستفزازا مضادا .

●● ان لغة الحوار عموما اما تأخذ طابعا دفاعيا حادا عن الدولة وعن مؤسساتها وهو فى النهاية طابع ضعيف ممسوخ يصل الى حد التبرير الذى يستثير المواطن العادى ناهيك عن المستهدف أو يأخذ طابعا اعتذاريا ضيقا فلا يصل الى قلب وعقل المواطن الى حد زعزعة ثقته فيما يقرأ وفيما يتابع .

ونظرا لذلك كله صارت هناك شريحة كبرى غير مهتمة وغير ملتزمة يمينا أو يسارا عقائديا أو فكريا هذه الفئة هى أخطر الفئات فى النظم السياسية عامة وفى عالمنا الثالث بصورة خاصة وفى مصر بصورة أخص ٠ فالملتزم سياسيا ، وفكريا او عقائديا سواء كان مؤيدا أو معارضا لا خوف منه وتكمن المشكلة كلها فى غير الملتزم وغير المتهم وهؤلاء يطلق عليهم فئة اللامبالاة ، هذه الشريحة هى التى تسعى كل القوى الداخلية والخارجية الى استقطابها وتجنيدها وتوظيفها لخدمة أهداف قد تكون غير شرعيية

أن أزمة العنف وهى أزمة فعلا تدور حول هذه الشريحة وهى شريحة لم تستطع الدولة بكل أجهزتها أن تصل اليها لا بالحوار الدائر . ولا بالسياسات التى تقوم بها أجهزة الدولة ، والمطلوب هو وقف انحراف تلك الشريحة الواسعة الى دائرة العنف حتى لا تتسع الدائرة بصورة تهدد مستقبل المجتمع وسمعته وأخطر أشكال العنف هو الذى تتورط فيه الدولة وتنحدر اليه مؤسسات الضبط العام فيها واذا كانت الدولة خلال نصف القرن الماضى قد بذلت جهودا ضخمة من أجل القضاء على ظاهرة التأر فى صعيد مصر فليس من المعقول أن تصير طرفا هى ذاتها فى قضية ثأر مع جماعات بعينها مهما كان فكر وفلسفة تلك الجماعات لأن عنف الدولة لا يستعدى فقط المشتركين فى العنف لكنه يستعدى ويستثير أفرادا آخرين من فئة اللامبالاة التى ذكرناها وتتحول الأحداث المتفرقة الفردية الى نمط عام ذى طابع جماعى ٠

ولا يمكن أن ينكر أحد أن وراء أحداث العنف التى نراها أسبابا اقتصادية واجتماعية وسياسية وقد تكون داخلية وخارجية وبالتالى فان احتواءها وعلاجها لا يمكن أن يتم بالعنف لأن العنف الذى نراه هو الجانب الظاهرى المرئى من ظاهرة معقدة للغاية وهى ظاهرة علاقة الفرد بالدولة ومسئولية مواجهة تلك الظاهرة

لا يمكن أن تكون مسئولية وزارة الداخلية وأجهزة الأمن والا فشلنا في ادراك وفهم ما يدور حولنا · ان مسئولية وزارة الداخلية حفظ الأمن والنظام ومنع الجريمة أما مواجهـة العنف فهى مسـئولية الدولة أولا والمجتمع ثانيا فهى اذن مسئولية مشتركة بين المؤسسات الرسمية والأجهزة الشعبية وهذه مسألة لا تحتاج الى اثبات ولكنها من المعطيات بل المسلمات السياسية الأولية ·

وفى هذا الشأن لابد أن نتحدث عن بعض المؤسسات التى يقع عليها عبء كبير أما فى احتواء ظاهرة العنف أو فى تفجيرها وأولها المؤسسات الاعلامية وللامانة والحق فان ما تشهده مصر من حرية صحفية واعلامية هو فريد جدا فى بلدان العالم الثالث بيد أن ما نراه على شاشة التليفزيون وفى السينما وفى المسرح لا يمكن أن ينسجم مع ما نراه من ضرورة احتواء العنف كما أن الاعلانات الاستفزازية سواء عن سلع بعينها أو عن أفلام ومسرحيات وأعمال فنية لا يخدم المصلحة القومية العليا ، والذى يحيرنا فعلا أن التليفزيون مملوك للدولة وليس قطاعا خاصا يسعى للربح وحده وبالتالى يجب أن ينتقى ما يعرض عليه ·

وأخطر المؤسسات التى يـكاد يخبو دروها هى الأحـزاب السياسية ولقد شهدنا قضايا بالمحاكم من أجـل انشـاء أحـزاب سياسية دون أن نرى للاحزاب القائمة دورا ما فى مواجهة ظاهرة العنف واذا كان التعدد الحزبى لم يؤد الى الوصول الى المواطن العادى فما فائدة الأحزاب اذن فالأحزاب موجودة ولكنها غير متواجدة هى موجودة فى شكل مقار وأجهزة وأعضاء ولكنها غير متواجدة فى شكل انصار وأعضاء أو فى شكل حوار أو فى حل القضايا المحلية ·· فى الماضى كان العرف يساعد القـانون وكان الوجهاء يتوسطون وكانت المساعى الحميدة تطوق القضايا حتى المعقدة منها واليوم لا تستطيع الأحزاب السياسية أو ربما لا ترغب فى أن تتواجد فكرا وعملا ودورا الا تستحق ظاهرة غياب الأحزاب

وممثليها عن الساحة السياسية من الناحية الفعلية دراسة وحوارا أمنيا · ونأتى الى التعليم والتعقيدات التى أحاطت به والمناخ الذى يدور فيه والمادة العلمية التى يتعرض لها المتعلم ، وقد ذكر لى مسئول تربوى احترمه أن وراء كل ارهاب تعليما فاشلا وهذا حقيقى هل هناك هدف قومى للتعليم فى مصر غير تخريج مئات الآلاف من الخرجين ، ما الفلسفة التى تحكم التعليم فى مصر ؟ ما الاستراتيجية التى تتبعها وزارة التعليم ؟ ما أسس اعداد التلميذ لكى يكون مواطنا صالحا مواليا منتميا الى مصر ؟ لقد تركت وزارة التعليم كل ذلك وتفرغت طوال عام كامل لقضايا فى فى المحاكم رفعها الطلاب وأولياء أمورهم ضدهم ولم تكسب الوزارة أغلب تلك القضايا ·

لقد تعلمنا فى اطار ما يطلق عليه اليوم المناهج التقليدية واستطاعت المؤسسة التعليمية بالمتعاون مع المنظمة السياسية أن تنمى فينا الولاء والانتماء ناهيك عن الفهم والادراك من الناحية الفنية واليوم لا تستطيع مؤسسات التعليم الأساسى أو الجامعى أن تقوم بذلك رغم الانتفاع السياسى الواضح والهام الذى يعيشه المجتمع المصرى اليوم ·

لا نريد أن نتوسع أكثر من ذلك غير اننا يجب أن ندرك أنه اذا كان المحيط العام بدءا بالأسرة والشارع والاعلام والمدرسة يشكل عنصرا للامبالاه أو عدم الاهتمام فمسئولية المجتمع كله خاصة مؤسساته السياسية أن تصل الى قلب وعقل المواطن قبل أن تصل قوى أخرى خطيرة ومغرضة اليه وتجنده وتستثيره ضد مصلحة الوطن أن منطق العنف والعنف المضاد يوسع من دائرة العنف ويعقد من تلك الظاهرة ويضعنا فى حلقة مفرغة لا نستطيع كسرها أو الخروج منها كما أن لغة الحوار يجب أن ترتقى مستهدفة المصلحة العليا وعلى كل ممارس أو كاتب أو طرف أو مراقب أن يعلم أن هناك من يتوقون الى تلقى اى حدث بالخارج وتضخيمه

للاضرار بسمعة الوطن والتأثير عليه · هل من صدفة أن تقع أخطر أحداث العنف والعنف المضاد على أبواب موسم السياحة الصيفى والذى ينتظره المجتمع والدولة سنويا · ان سمعة ومستقبل مصر تتطلبان التزاما أخلاقيامن كل الأطراف ، ولينتقل الحوار من الصحف والتليفزيون والمجلات والاذاعة الى الشارع الى الناس الى القرى والمدن ، هل يمكن أن يساهم أعضاء الهيئات التشريعية فى هذا الحوار ، هل يمكن أن نلتف جميعا وراء هدف واحد وهو كاف جدا لتحقيق الاجماع القومى أنه مصر سمعة ومستقبلا هل يمكن أن نكون أمناء فى عرض فكرنا هل يمكن أن ننتقل من منهج العضلات الى منطق العقل والفكر هل يمكن أن نساهم جميعا فى خلق المواطن الملتزم المتأمل ان ذلك كله يحتاج أولا وقبل كل شىء الى توظيف أفضل لنعمة الله علينا وهى العقل ·

الحــوار هــو الحل

د· عبد المعطى شعراوى
أستاذ بجامعة القاهرة

أجمع الكل على رفض الارهاب وادانة العنف بكل صــوره وأساليبه ، واخيرا بدا وكأن الحكومة قد عثرت على عصا سحرية فقد بعض بنود على عجل ، وقدمتها على الفور الى مجلس الشعب ، وصفق لها فى التو أغلبية أعضائه ، بعض العــاملين فى مجــال الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون ، وهكذا تخيــل البعض أن مشكلة الارهاب قد زالت ، لكن أخطر ما فى الأمر هو الاعتقاد بأن أى ظاهرة أو أى سلوك أو أى تصرف أو أى تعامل أو أى منهج أو حتى أى فكرة تدور فى رأس أى مواطن مصرى يمكن القضاء عليها أو تغيرها بقانون ، وأخــطر ما فى الأمــر أيضــا أن ينسى البعض أو يتناسى أن أى سلوك سواء كان عاديا أو غير عادى انما هو بالضرورة لاحق لسلوك سابق · وهو ما يعرف بنظرية الفعل ، ورد الفعل ، اذ أن ما يحدث الآن ليس أفعالا بل ردود أفعال ·

وأخطر من هذا وذاك هو الدوران حول المشكلة والهروب من مواجهتها حتى تستفحل وتتشعب وعند ذكر الارهاب يجب الاعتراف أولا أن التقليل من شأن هذه الموجة أو من خطورتها يدخل تحت

باب الجهل أو الاستهتار أو النفـاق لذا يجب على جميع فئـات المجتمع المصرى أن تتكاتف وأن تستجمع كل امكانياتها من أجل التصدى لهذه الموجة العاتية ٠ فليس هناك مصرى واحد يرضى عن الارهاب أو يدافع عنه ٠ وان كل ما قيل أو كتب حتى الآن وكل ما قد يكتب أو يقال فى أى عصر أو زمان لم ولن يستطيع أن يجد مبررا واحدا للدفاع عن الارهاب أو استخدام العنف بين شعب من الشعوب ٠

فالعنف مرفوض من جميع الشعوب والطوائف والأفـراد ٠ لكنه مع ذلك حقيقة واقعة كائنة فى أكثر من مكان وزمان لست مع من يدعون أن ما يحدث الآ فى مصر شىء عادى ، فلو صدقنا ذلك الادعاء لأصبحنا مثل النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال ٠ لست مع من يعلن أن الارهاب ليس من طبيعة الشعب المصرى ، فالشعب المصرى ـ شأنه فى ذلك شأن أى شعب آخر ـ قد تتغير طبيعتـه بقدر الظروف التى قد يمر بها ، لست مع من يشيع أن أفرادا غير وطنيين يشعلون نار الفتنة ليصطادوا فى الماء العكر ، فالخيـانة لم تكن ولن تكون يوما ما من الطباع المصرية ، لست مع من يروجون أن أيادى أجنبية تعيث بأصابعهـا بين ذرات تراب مصر الطاهر فتثير عاصفة ترابية ، فما دامت مصر صفا واحدا فسوف تقف سدا منيعا أمام أى تدخل أجنبى وسوف لا تجد أى يد دخيلة ثغرة تدخل عن طريقهـا ٠ ولسـت مع من يقول أن قانون الطوارىء وما يتبعه من قوانين لاحقة لمكافحة الارهاب قادرة على انقاذ مصر من كبوتها ، فالقوانين وحدها ـ مهما كانت صرامها ـ غير قادرة على وقف موجة العنف والارهاب ٠

ان نظرة سريعة الى ماضى مصر المحروسـة قد يلقى بعض الضوء على أسباب ظاهرة العنف ، لكنه فى نفس الوقت ربمـا يكشف عن حقائق قد يكره البعض سماعها ٠ فالحقيقة غالبـا ما يكون مذاقها مرا فى حلوق المغرضين والمزورين ٠

شعب مصر شعب طيب أصيل مسالم صبور لكنه ذكى جدا . الذكاء اذا صاحبته الطيبة والأصالة والمسالمة والصبر أصبح نقمة على صاحبه فى بعض الأحيان . فالشعب المصرى عادة يستقبل حاكمه بالترحيب ، يعامله بطيبة بالغة ، يثق فيه ويسلم له القياد ، يدافع عن ويتفانى فى خدمته ، لكنه فى نفس الوقت ذكى لماح يراقب خطوات حاكمه عن بعد ، يرصد تحركاته فى صمت ، يزن الأمور فى هدوء ، يصبر على ظلمه اذا ظلم . لكن الذكاء والصبر والظلم لا يتفق كل منهما مع الآخر فى مجتمع واحد . فالذكاء يكشف ألاعيب الظالم ، والصبر يضلل الظالم ، فيفسر الظالم صبر المظلوم على أنه غباء أو ضعف أو استسلام فيتمادى الظـالم فى ظلمـه شيئا فشيئا وتزداد ثقته فى قوته وجبروته بينما يفقد المظلوم صبره شيئا فشيئا ويلم شتات ضعفه ، هنا تنطلق النكتة المعبرة والتى هى سمة من سمات مقاومة الشعب المصرى للظالم . فالنكتة السياسية ليست تنفيسا ـ كما يرى البعض ـ عن آلام المظلوم ، بل هى انذار هادىء للظالم ، وفى بعض الأحيان قد لا يستوعب الظالم النكتة ، بل قد لا يدرك أن النكتة ليست سوى تعبير رمزى عن العد التنازلى لاستخدام العنف بعد أن يكون الصبر قد نفد .

منذ عهد الفراعنة استقبل الشعب المصرى الهكسوس ، احتمل ظلمهم صابرا ، لكنه سرعان ما ثار ثورة رجل واحد وألقى خارج الحدود . استقبل شعب مصر الحاكم الفارسى ثم الحاكم البطلمى ثم الحاكم الرومانى ، لكنه طردهم واحدا بعد الآخر . استقبل الشعب المصرى الحاكم المملوكى ثم الحاكم التمكى ، لكنه تخلص منهما كما تخلص من كل الحكام الظالمين السابقين . استقبل الشـعب المصرى الحاكم الفرنسى ثم الحاكم الانجليزى لكنه سرعان ما تخلص أيضا منهما . هكذا تخلص الشعب المصرى من حكامه الظالمين اما عن طريق الكفاح المسلح أو عن طريق المقاومة الشعبية أو عن طريق الاغتيالات السياسية . وفى اعتقادى أن الكفاح المسلح ضد

الحاكم الظالم والمقاومة الشعبية والاغتيالات السياسية ليست الا أنواعا مختلفة من العنف · ولعلنا لم ننس ما قام به شباب مصر من أعمال عنف ضد المستعمر البريطانى أثناء النصف الأول من القرن الحالى والاغتيالات السياسية التى قام بها أفراد جماعات منها على سبيل المثال حادث مقتل اللورد موين · وقبيل قيام ثورة يوليو هبت على مصر موجة عاتية من الاغتيالات السياسية راح ضحيتها مجموعة كبيرة من الشخصيات السياسية المصرية مثل اغتيال أحمد ماهر والنقراشى وحسن البنا · وهكذا نجد أن الشعب المصرى شعب مسالم بطبعه يرفض الارهاب ولا يميل الى استخدام العنف لكنه قد يدفع اليه دفعا تحت ظروف ضاغطة · فعندما يشعر المصرى بالظلم ، يحاول أن يدفعه عن نفسه بالحوار الهادىء ، وعندما يفشل الحوار الهادىء يتحول الى السخرية من ظالمه وعندما لا تنفع السخرية يتحول الى العنف · فاذا قضى على ظالمه يعود على الفور الى الطيبة والى وداعته وأصالته ويهفو الى السلام ·

هذا هو ما حدث منذ أربعين عاما ، فقبيل ثورة يوليو كان شعب مصر قد سئم من المؤامرات والاعتقالات وعمليات التعذيب والاختلاسات والرشاوى والتنافس الرخيص على كراسى الحكم · كان قد سئم من الاغتيالات والارهاب واستخدام العنف · لذلك فقد رحب بثورة يوليو ترحيبا منقطع النظير · وجد فيها عودة الى السلام الاجتماعى والمساواة والرخاء الاقتصادى ، وجد فيها حاكما خرج من بين صفوفه يحارب من أجله ويحمل الراية نيابة عنه ، يعيد اليه حقوقه المسلوبة ويريحه من عذاب الكفاح المسلح · وجد فيها مستقبلا مزدهرا تبرز فيه بزور الديمقراطيـة التى افتقدها لسنوات طويلة · وجد فيها كذا وكذا وكذا الى آخر تلك الشعارات التى نادى بها الثائرون حينذاك · لكن سرعان ما خاب أمله واستأثر الثوار بالحكم والسلطة والنفوذ ، ازداد عدد السجون والمعتقلات وازدحمت على اتساعها بالمعتقلين جمع نفر قليل من المقربين ثروات

طائلة ، أنشأوا مؤسسات تجارية عالمية ، اقتنوا المزارع الضخمة فى الداخل والخارج · وعندما أحسوا أن الشعب المصرى بذكائه بدأ يطالب بالحوار بدأوا يلوحون له بقرب عهد الديمقراطية · وهدأ الشعب قليلا ظنا أنه قد ينعم بديمقراطية مقلبة · لكنه سرعان ما اكتشف بذكائه أنها كانت ديمقراطية زائفة · بحوار سوفسطائى عقيم · طالب بالمساواة الاجتماعية لكنه قوبل بمساواة شكلية ظاهرها عدل · قلب الأمور أكثر من مرة وعلى كل الوجوه ، لكنه فى كل مرة كان يرى قلة تعيش فى بذخ وكثرة لا تجد الخبز ، قلة تسكن الأبراج الشاهقة والقصور وكثرة لا تجد غرفة واحدة مأوى لها · قلة تشغل عشرات المناصب وكثرة لا تجد وظيفة · هنا بدأ شعب مصر المسالم الأصيل الطيب الصبور الذكى يطالب بالحوار ثم بدأ يطلق النكتة ، فظن المسئولون أنه قد نسى قضيته واحتار طريقا غير جاد · بعدئذ تحول الى العنف ، وهنا فقط يمكن القول أن أيد غير أمينة قد تلقفته فأذكت فيه نار العنف وأرضعته فوضى الارهاب وتسللت الى نفسه السقيمة تسانده ماديا ومعنويا · ولولا الظلم الاجتماعى الذى وقع تحته ما نجحت أية مؤثرات خارجية فى التأثير عليه ·

اننى متفائل جدا · فاذا عرف السبب بطل العجب فموجة العنف بين شعبنا اليوم هو رد فعل للظلم والاستبداد الذى تعرض له الأجيال السابقة ، انها نتيجة للظلم الاجتماعى بشتى صوره ان أسهل طريق للقضاء على موجة العنف والارهاب هو طريق الحوار الهادىء بشرط أن تسبقه عدالة اجتماعية · وأعتقد أن بشائر ذلك التغيير قد بدأت · مطلوب اذن من بعض مسئولينا أن يحدوا من مظاهر البذخ · مطلوب منهم اغلاق حساباتهم الشخصية فى البنوك الأجنبية ، مطلوب منهم احترام عقلية الشعب المصرى وتقدير ذكائه · ان كان الشعب المصرى ذكى جدا · وعلى المسئولين أن يدركوا هذه الحقيقة قبل فوات الأوان ادراكا كاملا · فالشعب

المصرى ليس ساذجا ولا غبيا · وان من الغباء أن يعتقد المرء أنه يتعامل مع طرف غبى ·

أقول هذا بمناسبة موجة العنف وأقوله أيضا بمناسبة اعادة بناء الحزب الوطنى ، وأقوله أيضا بمناسبة مرور أربعين عاما على ثورة يوليو ، وقد يقول قائل ان الحل غاية فى السهولة لكن من الذى يستطيع أن يعلق « الجلجل فى رقبة القط ؟ »

التطرف ‥ وسبل مواجهته
دروس عامة من تجربة مصر

أحمد حمروش

طلقات الرصاص التى يطلقها أعضاء الجمعيات المتطرفة أصبحت خبرا متكررا ومثيرا فى مصر خلال أحداث تمتد من العاصمة الى الأقاليم تهدد الأمن والاستقرار وتبعث التوتر والقلق ·

والارهاب أو التطرف ليس أمرا جديدا فى مصر ‥ ولكن الجديد هو تسارع معدل الأحداث وتطور الأساليب والأسلحة المستخدمة مما يدفع شعب مصر الذى يعتز بوحدته الوطنية التى سبقت سائر شعوب العالم منذ الآف السنين الى البحث عن حقيقة الدوافع التى تدفع بالمجتمع الى هذا المنزلق الخطير · والى أفضل السبل للخروج من هذا المأزق الدموى الذى يهدد الحياة والمستقبل ·

ورغم أن الحديث عن الماضى وحده لا ينفع فى مواجهة الخطر الذى تتعرض له ‥ الا أنه لاغنى عن الرجوع الى صفحات التاريخ لمعرفة الحقيقة بكل وضوح ·

بدأ التطرف فى مصر يأخذ مظهرا وطنيا منذ بدأ يفرخ فى عش الحزب الوطنى الذى تجاوزته الأحداث بعد ثورة ١٩١٩ وغياب زعيمه مصطفى كامل وخليفته محمد فريد واتجاه بعض أعضائه

لمحاولة مقاومة الاحتلال البريطانى بالعمل الفردى وليس الجماهيرى خاصة بعد أن وصلت مفاوضات سعد زغلول ورامزى مكدونلد الى طريق مسدود ٠٠ فى وقت كان الحزب الوطنى يتبنى فيه شعار (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) ٠

وفى طريق التطرف المعبر عن نفاد صبر وقصر نظر تمت محاولات اغتيال سعد باشا زغلول فى يوليو ١٩٢٤ ، اسماعيل صدقى باشا فى ١٩٣٠ و ١٩٣٢ ومصطفى النحاس باشا عام ١٩٣٧ ، واغتيال أمين باشا عثمان عام ١٩٤٦ ٠

وعقب اقامة حكومة الوفد فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ وبعد الحرب العالمية الثانية ٠٠ انبعثت فترةمن المد الثورى طالب فيها الشعب بالجلاء والتحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية ووصلت الى حد اضراب معظم الطوائف بما فيهم ضباط البوليس فى أكتوبر ١٩٤٧ وابريل ١٩٤٨ ٠٠ وكان غريبا ان يظهر الارهاب والتطرف بشكل مثير بدلا من التفاعل الصحى مع الحركة الشعبية ٠

ظهر الارهاب والتطرف فى اتجاهين مصدرهما واحد ٠٠ (الحرس الحديدى) التنظيم الذى شكلته السراى ، وجماعة (الاخوان المسلمين) التى شجعها اسماعيل صدقى باشا ٠

وهكذا كانت السراى خلف تنظيمات الارهاب الجديد سواء بطريقة مباشرة ٠٠ أو غير مباشرة ٠

وظهر اتجاه (الحرس الحديدى) فى محاولات الاغتيال التى قام بها بعض أعضائه ٠

أما الاخوان المسلمون فقد بدأت عملياتهم العنيفة باغتيال أحمد باشا ماهر فى البهو الفرعونى لمجلس النواب يوم ٢٤ فبراير

١٩٤٥ ، ثم توالت عمليات الارهاب الى محاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ بالاسكندرية ٠

وعندما تمت مواجهة الارهاب بشدة تجاوزت الحدود أحيانا انحسرت عمليات ومحاولات الاغتيال الى أن تولى الحكم أنور السادات وبدأ فى تشجيع بعض الجماعات المتطرفة كوسيلة لدعم سلطته فى مواجهة المعارضة ، وانطلق الارهاب مرة أخرى فى السبعينات ٠ وظهرت تنظيمات جديدة حاولت أن تأخذ صبغة دينية مثل التكفير والهجرة ، والناجون من النار ،والجهاد الاسلامى وغيرها٠

وتطور أسلوب العمليات الارهابية وأصبح بعضها يحمل تهديدا حقيقيا للسلطة مثل محاولة الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية ٠٠ ومواجهة قوات الأمن فى معارك مسلحة يسقط فيها القتلى من الجانبين ٠٠ وتفجير الخلافات الطائفية كما حدث فى الزاوية الحمراء ٠٠ وتصفية بعض الشخصيات التى يكون لها رأى متعارض مع رأى هذه الجمعيات الارهابية حتى ولو كانت من علماء الدين مثل الشيخ محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف ٠

وأخيرا ٠٠ ارتد السهم الذى استخدمه أنور السادات الى نحوه عندما اغتيل فى حادث المنصة يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ على يد بعض المتطرفين الذين تسربوا الى صفوف الجيش ٠٠ والذين شكلوا بتسربهم تهديدا وخطرا على استقرار المجتمع وأمن المواطن ٠

وبدأت فى مصر مرحلة جديدة مع الثمانينات تحقق فيها قدر من الديمقراطية أتاح للصحافة حرية كاملة مطلقة وللأحزاب فرصة العمل ، دون قيود ، واعطى لجميع القوى السياسية ساحة واسعة للتنافس السلمى ٠٠ ولكن التطرف لم يجد لنفسه مكانا فى هذا المجال فواصل العدوان والاغتيال دون تقدير لسلامة الوطن ٠

وتصاعد معدل الحوادث الى درجة تبعث القلق ٠٠ وتمت

محاولات لاغتيـال وزراء الداخلية السابقـين ٠٠ النبوى اسماعيل وحسن أبو باشـا كما تم اغتيـال الدكتور رفعت المحجوب وكان المقصود هو محمد عبد الحليم موسى وزير الداخلية ٠

ويتضح من هذه الرؤية الكاشفة للحقائق ان هناك عدة معالم يجب أن نقف عندها :

١ ـ ينبت التطرف فى التنظيمات التى يسود فيها نفـاد الصبر وقصر النظر فى كسب ثقة الشعب بوسائل ديمقراطية ٠

٢ ـ يحاول الارهاب دائما اخفـاء أعماله الاجراميـة بثياب وطنية أو دينية ٠

٣ ـ لا تحسن التنظيمات الارهابيـة تقـدير خطورة ردود الفعل الحكومية التى تدفع الى اتخاذ اجراءات قد تتنافى مع حقوق الانسان وتصيب هذه التنظيمات باضرار وخسائر شديدة ٠

٤ ـ ينحسر الارهاب والتطرف عند مواجهته مواجهة حاسمة من كافة الطوائف والفئات الشعبية التى تتعرض للخطر الى جانب أجهزة الدولة ٠

٥ عجز الارهاب مهما بلغت ضراوته عن هز قواعد النظام ٠٠ ودليل ذلك فشله فى احداث أى تغيير بطلقات الرصاص أو انفجار القنابل ٠

ونأتى الآن الى التساؤل عما يجب عمله ازاء هذه الحالة التى تبعث على التوتر والقلق بعد تصاعد معدل الأحداث وانتشارها وتطور أساليبها وتضاعف احتمالات الخطر المنبعثة منها ٠

وفى ايجاز يمكن بلورة وجهة النظر لما يحدث فى مصر الآن بما يلى :

١ ـ الارهاب ليس مباراة بين المتطرفين ورجال الأمن نتحمس فيها لطرف أو آخر ‥ ولكنها معركة بين جميع المواطنين وخاصة الأحزاب والهيئات الشعبية الحريصة على الاستقرار والأمن والديمقراطية وبين التنظيمات التى تفرخ الارهاب وتعتنق مبادىء العنف والعدوان ٠

٢ ـ التعليم والصحافة وأجهزة الاعلام لها دور رئيسى فى توجيه المجتمع ضد الارهات وهو ما يجب أن تقوم به بجدية وأسلوب حضارى يضىء الحقائق ولا يرتجف أو يتراجع أمام الدعاوى الباطلة ٠

٣ ـ اخفاء الضائقة الاقتصادية التى يعانى منها الكثيرون مثل محاولة اخفاء الشمس فى الصباح ‥ وهى أرضية صالحة يستغلها المتطرفون الذين لايملكون وسيلة للاقناع سوى الاثارة ‥ ولذا فواجب الحكومة أن تواصل دعم الانتاج ومطاردة الانحراف وتقريب الفوارق الاجتماعية ‥ مع تطوير القوانين وأسلوب العدالة حتى لاتتراكم القضايا لسنوات دون حكم ٠

٤ ـ التأكيد على أهمية الحوار بين قيادات هذه التنظيمات الذين ينظرون للعنف ويجعلون من أنفسهم قضاة وجلادين فى نفس الوقت وبين المستنيرين والعقلاء من علماء الدين والمجتمع على أن يكون الحوار مستمرا ومتصلا ٠

٥ ـ تعميق وتطوير الديمقراطية التى تشعر المواطنين بحقهم فى قيادة المجتمع عن طريق المشاركة حتى ينتفى تماما شعور البعض بأن بعض الأحزاب قد وجدت لتبقى فى الحكم الى الأبد ‥

هذه هى وجهة نظر لما يحدث فى مصر ‥ ونحن ندرك أننا تواجه مرحلة من أخطر مراحل تاريخنا المعاصر ‥ نرجو ألا ننزلق فيها الى مزيد من العنف والتطرف ‥ وان نحتفظ فيها بأصالة وحدتنا الوطنية التى تعتز بها ٠

(★) رئيس اللجنة المصرية للتضامن الأفريقى الآسيوى ٠

مع الدين الخالص

تغيير المنكر باليد وظيفة من ؟

د. محمد سيد طنطاوى

مفتى الديار المصرية

لا يختلف عاقلان فى ان فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، على رأس الفضائل التى حضت عليها الشرائع السماوية بصفة عامة ، وشريعة الاسلام بصفة خاصة . والمتدبر للقرآن الكريم يراه قد سلك فى وجوب اعتناقها ، والمحافظة عليها ، والجهر بها ، أساليب شتى .

فتارة يأمر القرآن اتباعه أمرا صريحا بوجوب القيام بها ، كما نرى فى قوله ـ تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » (سورة آل عمران : الآية ١٠٤) .

والمراد بالأمة هنا : الطائفة من الناس التى تصلح لمباشرة الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

والمراد بالخير : ما فيه صلاح للناس سواء أكان هذا الصلاح دينيا أم دنيويا . والمراد بالمعروف : ما حسنه الشرع ، وتعارف العقلاء على حسنه ، كالصدق ، والعفاف ، وأداء الواجب باخلاص واحسان ..

والمراد بالمنكر : ما يكون ضد ذلك ، كالكذب ، والفحش ، والخيانة ، واهمال الشعور بالمسئولية نحو النفس أو الغير .

والمعنى : ولتكن منكم ـ أيها المؤمنون ـ طائفة قوية الايمان ، تبذل أقصى طاقتها وجهدها فى الدعوة الى الخير الذى يصلح من شأن الناس ، وفى نهيهم عن المنكر الذى يأباه شرع الله ، وتنفر منه الطباع الحسنة ، وأولئك هم المفلحون الفائزون .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يراها قد اشتملت على مطلبين :

أحداهما : موجه الى الأمة كلها يطالبها بأن تعد طائفة من أبنائها لهذه المهمة السامية ، وهى دعوة الناس الى الخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وان تزود هذه الطائفة الصالحة لهذه المهمة بكل ما يمكنها من أداء مهمتها .

وثانيهما : موجه الى تلك الطائفة الصالحة لهذه المهمة ، بأن تخلص فيها ، وتؤديها على الوجه الأكمل ، الذى يرضى الله تعالى .

وتارة يجعل خيرية هذه الأمة مقيدة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وايمانها بالله ـ تعالى ـ فيقول ـ سبحانه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ... » (سورة آل عمران : الآية ١١٠) .

والخطاب فى هذه الآية الكريمة بقوله ـ تعالى ـ « كنتم » : للمؤمنين الذين عاصروا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمن أتى بعدهم الى يوم القيامة .

ولذا قال الامام ابن كثير فى تفسيره جـ١ص٣٩١: «والصحيح ان هذه الآية عامة فى جميع الأمة ، كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم الذين يلونهم ... » .

ولفظ « كنتم » هنا : الراجح انه من كان التامة التى بمعنى وجد ، فيكون المعنى : وجدتم يامعشر المسلمين العاملين بتعاليم الاسلام وأدابه لاالعاملين بتعاليم الاسلام وأدابه وسننه خير أمة أخرجت للناس ، لانكم تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله تعالى ــ وبوحدانيته وقدرته ، ايمانا خالصا ٠٠ فانت ترى ان الخيرية للأمم الاسلامية ، منوطة بتحقيق أصلين أساسيين :

أولهما : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأنهما سياج الدين، ولا يمكن أن يتحقق بنيان أمة على الخير والفضائل الا بالقيام بهما ٠

وثانيهما : الايمان الكامل بالله ــ تعالى ــ وبجميع ما أمر بالايمان به ٠

فاذا لم يتحقق هذان الأمران فى أمة ، سلبت عنها هذه الخيرية ، ولا يمكن أن يتحقق بنيان أمة على الخير والفضائل الا بالقيام بهما ٠ لا توصف بالخيرية قط ٠٠

وكأنه ــ سبحانه ــ قد أخر « الايمان بالله » عن « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، ليكون كالباعث عليهما ، لأنه لايصبر على تكاليفهما ومتاعبهما الا مؤمن يبتغى بقوله وعمله وجه الله ــ تعالى :

وتارة نرى القرآن الكريم ، يعقد مقارنة بين أخلاق المنافقين ، وأخلاق المؤمنين الصادقين ، فيجعل على رأس الفروق بين الفريقين ، ان المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، بينما المؤمنون على العكس من ذلك فيقول : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم ــ أى : عن فعل الخير ــ نسوا الله فنسيهم ــ أى : تركوا طاعة الله ــ تعالى ــ فتركهم وحرمهم من رحمته ــ ان المنافقين هم الفاسقون ، ثم يقول : سبحانه ــ بعد ذلك : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ،

يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (سورة التوبة : الآيات من ٦٧ - ٧١) وقال - سبحانه - فى شأن المؤمنين والمؤمنات : « بعضهم أولياء بعض » بينما قال فى شأن المنافقين والمنافقات : « بعضهم من بعض » : للاشعار بأن المؤمنين فى تناصرهم وتراحمهم ، مدفوعون بدافع العقيدة السليمة ، التى ألفت بين قلوبهم ...

أما المنافقون ، فلاتوجد بينهم هذه الروابط السامية ، وانما الذى يوجد بينهم ، هو التقليد الأعمى ، واتباع الهوى ، والسير وراء الباطل والمطامع الشخصية ، فهم كما قال - سبحانه - « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » (التوبة : ٥٨) .

وفى موطن رابع يمدح القرآن الكريم المؤمنين الذين نصرهم الله - تعالى - على أعدائهم ، ومكنهم فى الأرض ، فيجعل من صفاتهم ومناقبهم حرصهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقول : « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وأتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (سورة الحج : الآية ٤١) .

الارهاب والتطـرف .. وجوهر الحل الاسلامى

د . محمد شـوقى الفنجرى

يجب أن نفرق بمصطلح الشرعيين بين « التدين المطلوب » ، وبين « التطرف المقبول كراهة » ، وبين « الارهاب المرفوض تحريما ». والمرحلة الحرجة الخطيرة هى فى انتقال المرء لسبب أو لآخر . من « التطرف الفكرى » الى « الارهاب والعنف » . فالتطرف فى الفكر لا يواجه الا بالفكر والمعلومية الصحيحة . أما اذا تحول التطرف الفكرى الى التحدى والتصادم ، فانه يخرج من حدود الفكر الى نطاق الجريمة مما يستلزم حتما تغييرا فى مدخل المعاملة وأسلوبه .

يجب أن ندرك التطرف أو الارهاب ليس من طبيعة الانسان أو الشعوب عامة ، وليس بصفة خاصة من طبيعة الفرد أو الشعب المصرى والذى عرف على مر العصور والأجيال بالدعة والمسالمة ومواجهة الأمور بالرفق والتى هى أحسن وعليه فان ظاهرة التطرف أو الارهاب فى مصر أو غيرها ، هى ظاهرة « شاذة » أو « مرضية » لها أسبابها المختلفة . وهى غالبا ما تكون كرد فعل للأوضـــاع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية المتردية . والا فأجيبونا لماذا لا نرى ولا نسمع الا نادرا عن التطرف والارهاب فى أحياء الزمالك أو جاردن سيتى أو مصر الجديدة أو الدقى أو مدينة نصر ، بينما نرى ونسمع دائما عن التطرف والارهاب فى الزاوية الحمراء وامبابة

وكحك الى آخر هذه الأحياء الفقيرة التي مازال سكانها يعيشون حياة القرون الوسطى · وذات الحال في مختلف المحافظات ؟! ·

وأعجب أيضا لهؤلاء الذين ينادون بالخلافة ، متناسين أنها ليست بأصل اسلامى وانما مجرد اجتهاد وتطبيق ارتضاه المسلمون الأوائل وقد لا يناسب ظروفنا اليوم · وهم اذ يرفعون شعار الشورى، يردد بعضهم بأنها غير ملزمة لولى الأمر ، فيفرغها من مضـمونها ويشجع على الاستبداد محتجا بقوله تعالى (وأن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) ، غافلين أن تلك الآية انما تنصب على الكثرة الجاهلة من عوام الشعب وليس خيار الأمة وعلمائها · ثم نرى بعضهم ينكر الديمقراطية بزعم أنها افتئات على حكم الله ، حتى اذا أوضحت أن ذلك ينطبق أيضا على الشورى اذ حكم الله لا يطبق الا من خلال أهل الحل والعقد ، راح يحتج بأن الديمقراطية فى الغرب أجازت الشذوذ الجنسى غافلا عن أن الأخذ بالديمقراطية وحكم الشعب بمقتضى الاسلام لا يكون الا فى حدود الشرع والقيم الاسلامية · ومشكلة أغلب هذه التيارات كما أظهر بحق فضيلة الشيخ محمد الغزالى أن قادتها من « أهل الرواية » وليسوا من « أهل الدراية » وأنه يعوزهم دائما حسن قراءة « النصوص الشرعية » ويعوزهم أكثر حسن قراءة « الواقع العملى » ·

ان أوليات الصحوة الاسلامية يجب أن تركز على أحياء القيم الاسلامية وعلى رأسها قيمة العمل ، فانه ما من آية قرآنية تتكلم عن الايمان الا وتقرنه بالعمل الصالح · وتتواتر الأحاديث النبوية على اعلاء قيم كفاية الانتاج وعدالة التوزيع وضمان حد الكفاية لكل فرد ، اذ كما عبر بحق مالك ابن نبى : (كيف أصلى وأنا جائع ؟!) · وأن مقياس المسلم الصالح ليس مجرد الصلاة والصيام والاكثار من الذكر والتسابيح ، وانما فى الايمان الذى صدقه العمل ، ومن هذا المنطلق تميز مفهوم العبادة في الاسلام بتجاوزه الفرائض والشعائر ،

ليصبح شاملا لكل فعل منتج وكل سلوك ايجابى يلتزم به المسلم ازاء مجتمعه ، وصدق الله العظيم « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » ، وصدق الرسول عليه السلام بقوله (أحب الناس الى الله أنفعهم للناس) ولم يقل أكثرهم صلاة أو صياما أو تسبيحا ٠

أن رفض الاسلام لفكرة السلطة أو الحكومة الدينية مؤكد ويراد بالحكومة الدينية أن يتولاها رجال الدين أى ما يسمى بالمصطلح الغربى بالتيوقراطية ، أى حكم رجال الدين سواء كانوا كهنة أو مشايخ أو آيات الله ، فى حين أن الاسلام لا يعرف رجال الدين ، اذ كل المسلمين رجال دين وانما يعرف رجال العلم ٠ فالعبرة فى تولى السلطة فى الاسلام ليست بهوية من يتولاها ، وانما بكفايته وخبرته واختيار الناس له ورضائهم به ، وأن حكم باسم الاسلام والتزم بشريعته ٠ فالحكم فى الاسلام كما أظهر الشيخ محمد عبده بجلاء ، لا يمكن الا أن يكون مدنيا والدولة المدنية ليست هى الدولة العلمانية بالمفهوم الغربى الذى يستبعد الدين ، اذ الدولة الاسلامية منذ فجر تاريخها على مر العصور والأجيال ، كانت دولة مدنية تحكم باسم الاسلام ٠ وفى مصر منذ عهد الاستقلال ، ودساتيرها تنص بأن دين الدولة الرسمى هو الاسلام وأن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى لقوانينها ٠

واذا كانت مهمة ولى الأمر فى الاسلام ، هى بتعبير فقهاء السلف (تحقيق مصالح العباد فى المعاش والمعاد) ، وبتعبير الامام الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية هى (حراسة الدين وسياسة الدنيا) ، الأمر الذى دعا بعض فقهاء الشيعة الى المناداة (بولاية الفقيه) ، وأدى ببعض فقهاء السنة الى اشتراط أن يكون ولى الأمر مجتهدا ، الا أن هذا الاتجاه الاجتهادى ينبغى أن يفهم فى اطار الملابسات التاريخية التى طرح فيها ، وعندما كان للقيادة دورها الأكبر فى أمور

التشريع والفتوى وقبل أن يبرز ـ شأن اليوم ـ دور المؤسسات الدستورية التي عهد اليها بتلك الوظيفة .

وأن الخطاب الالهى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس موجها الى الحاكم فحسب أو مقصورا عليه ، وانما هو موجه الى كافة المسلمين كل فى حدود طاقته ومسئوليته ، اذ كما ورد فى الحديث النبوى « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو فى الاسلام حق وواجب على كل فرد حاكما أو محكوما ، اسهاما فى التغيير الى الأفضل وصناعة التقدم المنشود ، كل فى حدود قدرته واستطاعته ، شريطة أن يباشر ذلك بالرفق والتى هى أحسن . ورحم الله الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد أثر عنه قوله : « لو أن كل امرىء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يلزم بذلك نفسه ، لما كان هناك آمر بالمعروف ولاناهى عن المنكر ، ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة » .

كذلك ينكر االاسلام كلية فكرة قدسية الحاكم أو الحكم بالتفريض الالهى الذى يربط البعض بينها وبين الدعوة الى الحل الاسلامى ظلما وعدوانا ، فلقد ظلت السلطة فى فكر المسلمين وممارساتهم طوال خمسة عشر قرنا ذات طابع مدنى ، ولم يدع أحد سوى السفاح أبو جعفر المنصور أنه « ظل الله فى أرضه » وهذا شذوذ ينكر ولا يذكر ، وما هو الرسول عليه الصلاة والسلام بكل قدره وجلاله يقول لمن حوله « من جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد منه » وهذا خليفته أبو بكر يعلن على الملأ يوم تسلمه القيادة « قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى » ، ومن بعده يقول الخليفة عمر بن الخطاب « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه » ، وها هو على بن بى طالب وهو على رأس الدولة يلجأ الى القاضى شريح لينصفه من يهودى نازعه ظلما على درع له ، بل وصل الحال فى عهد معاوية أن دخل

عليه أحدهم وهو عهد معاوية أن دخل عليه أحدهم وهو مجلس الخلافة فحياه قائلا « السلام عليك نفر من الجالسين أصر على مقولته متسائلا (ألم يستأجرك الله لرعاية هذه الأمة ؟!) ، وهو ذاته الذى هب فى وجه معاوية عندما حبس بعض الهبات المالية عن المسلمين وقال له أمام الجميع « كيف تمنع العطاء وأنه ليس من كدك ولا كد أبيك أو أمك ! » .

فكيف يزعم البعض أن الاسلام يسمح بالسلطة الدينية والتفريض الالهى ، والمسلمون يخاطبون حكامهم بهذه اللهجة ، وكيف يتأتى ذلك فى مجتمع يعتبر بيعة الناس للحاكم أو انتخابه بأى أسلوب هو شرط لشرعيته ، ويعتبر فقهاء الاسلام تولى الحاكم لسلطاته بمثابة عقد يصفونه بأنه نوع من الاجارة أو الوكالة ، بحيث يجوز دائما فسخ العقد اذا ما أخل الحاكم بشروطه ، ويعتبر باغيا اذا أبى الامتثال لرأى الأمر فى عزله .

ان قوانين واجراءات السلطة ليست هى الحل الأول ، لمواجهة التطرف والارهاب كما يذهب البعض أو يستسهلون ، ولكنها الحل الأخير ، فالمسألة ليست قوانين وأبنية ومؤسسات ، ولكنها بالدرجة الأولى قيم اسلامية ينبغى أن تسود ويعلو مقدارها ، وعلى رأسها الشورى والعدل فى المجال السياسى ، وكفاية الانتاج وعدالة التوزيع فى المجال الاقتصادى ، والصدق وحسن المعاملة فى المجال الاجتماعى . وتلك مهمة يجب أن يتضافر المجتمع كله ، حاكما ومحكوما ، على اقرارها وترسيخها ، وبقدر سيادة هذه القيم ، تكون حصانة المجتمع ومصدر قوته الأساسية ، وبالتالى قدرته على احتواء سلبياته والتغلب على آفاته وانحرافاته .

ولأهمية قيمة العدل فى أى حل أو تطبيق اسلامى ، تنقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية قوله « ان الله يقيم الدولة العادلة وان كانت

كافرة ، ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة » ، وقوله « ان الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والاسلام » ، ويفسر ذلك بقوله « ان العدل نظام كل شيء ، فاذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وأن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وأن كان لصاحبها من الايمان ما يجزى به في الآخرة » . وهذا ما جعل السلف من قبل ينحازون الى الكافر العادل دون المسلم الجائر بقولهم « ان المسلم الجائر اسلامه له وجوره علينا ، في حين أن الكافر العادل كفره عليه وعدله لنا » . وهذا ما جعل الشيخ محمد عبده من المتأخرين يقول عقب زيارته لأوروبا « أنه وجد فيها اسلاما دون مسلمين » ، وقوله « ان الاسلام محجوب بأهله » . وصدق شيخنا فضيلة محمد الغزالى في قوله : « ان المسلمين اليوم عبء على الاسلام » ، وقوله « ان مناهضة الغرب للاسلام تقع أوزاره على متدينين بغضوا الدين الى خلقه بسوء كلامهم أو بسوء صنيعهم » .

انه لن يعصمنا من التطرف والارهاب مظلتان أساسيتان هما : الشورى الفعلية أو مصلح اليوم الديمقراطية الكاملة ، والمشروع القومى . فبالشورى أو الديمقراطية تطرح كل الأفكار والتيارات بضاعتها في النور ، ويجد كل اتجاه مكانه في المسيرة فلا يتنكر ولا يتخفى . وبالمشروع القومى يتحقق اللقاء حول الأهداف الكبيرة التى تعبىء حولها الجماهير والشباب في المقدمة ، فتستنهض الهمم وتنفجر الطاقات وتتلاشى المعارك الصغيرة التى تطفو على السطح بين الحين والحين .

واذا كان التطرف في الاسلام مكروها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اياكم والغلو ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ، وقوله عليه السلام « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق » .

وإذا كان العنف في الاسـلام محرما ويشـكل جريمة ، وأن الالتزام بسلطة الدولة ونظامها وقانونها ومؤسساتها ورموزها أمر ليس مطروحا للمناقشة ولا يقبل المنازعة فيه بأي حال .

وإذا كان قد تبين لنا أن مختلف صور التطرف أو العنف في أي مجتمع ، هي ثمرة مناخ فاسد وردود فعل لأوضاع سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو اخلاقية متردية .

وإذا كان قد تبين لنا أن مختلف صور التطرف أو العنف في وأعسر من أن يعالج في أسطر مماثلة ، ولكننا في المحصلة نستطيع أن نؤكد أن ثمة فراغا فكريا ونفسيا يعانيه شباب اليوم ، وأنه يدمي قلوبنا حين نراه يتسكع بين المسجد والمقهى والملهى ، لا يجد راحة ولا أمنا ، ويضخم هذا الضياع الزيادة المطرودة في نسبة بطالة الشباب ذوى المؤهلات العالية والمتوسطة ، مع شيوع شعور الاحباط بافتقاد الشباب المتعلم الأمل في شق طريقه وأن يكون له بيت وزوجة وحياة لائقة يحقق من خلالها ذاته . وهذا الفراغ والضياع خاصة لدى المثقفين العاطلين ، هو البيئة الطبيعية لنمو التطرف ثم التحول الى العنف والتحدى غير المشروع ، يغذى ذلك شريحة كبيرة في المجتمع لانسأل من أين جاءت ثرواتها ، ولكننا نقول انها تجاوزت حد الغنى والثراء الفاحش الى مرحلة الترف والبطر ، بحيث أصبح لها سلوك استفزازى ظاهر على النطاقين الخاص والعام في الوقت الذى تغلى أو تتلظى فيه الكثرة المسحوقة دون متنفس أو أمل في الخلاص .

ولا تطالب الدولة بالمستحيل الذى التزمت به قولا ولم تقدر عليه فعلا ، من حيث ايجاد عمل للجميع ، ولكننا نطالبها ، وكما نطالب سائر المؤسسات من أحزاب ونقابات واتحادات وجمعيات خيرية وأجهزة أعلام وأجهزة شباب ، باستثمار طاقات الشباب المعطلة

باثارة اهتمامه وجذبه الى العمل العام بصورة تلبى رغبته فى العطاء وتعصمه من الزلل فى هذا الاتجاه أو ذاك ٠

انه باسم الاسلام ومن خلال مبادئه فى الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحرص على ابتغاء وجه الله ورضاه والتسابق للفوز بجنته التى هى غاية المرتجى ، يمكن بغير تكلفة تذكر ، توجيه الشباب العاطل المتعلم بل أيضا المحالين الى المعاش ذوى الخبرة ويعانون الفراغ ، الى مشروع قومى يخطط له ويسأل عنه الوزير المختص ٠ ومن قبيل ذلك مشروع قومى لمكافحة الأمية وتتولاه وزارة التربية والتعليم ، ومشروع قومى للتشجير وغزو الصحارى وتتولاه وزارة الزراعة ، ومشروع قومى للمحافظة على البيئة ويتولاه وزير الدولة لشئون البيئة ، ومشروع قومى لتطهير مجرى النيل وتخليصه من ورد النيل المعوق وتتولاه وزارة الرى والأشغال ، ومشروع قومى لعلاج المرضى الفقراء مجانا وتتولاه وزارة الصحة ، ومشروع قومى لرعاية اليتامى أو خريجى السجون وتتولاه وزارة الشئون الاجتماعية ٠٠٠ الخ ٠ ولكن ــ بكل أسف ــ ان ما يشغل الوزير المختص هو الأعمال المكتبية وتسيير أعمال وزارته بأسلوب تقليدى ، بالاضافة ان شبكة الطرق فى ألمانيا أقيمت تطوعا بسواعد الشباب عندما شق هتلر طريقه الى الحكم ٠ وفى سيبيريا سد للمياه شيده الشباب باعتباره رمزا لما يستطيع أن يفعله الشباب تطوعا ٠ وأن كافة دول العالم المتقدم تقيم معسكرات عمل للشباب الجامعى يقدمون من خلالها خدماتهم تطوعا لمختلف المرافق ، فيفيدون مجتمعهم ويستفيدون خبرة ٠ فالمشكلة ليست مشكلة تمويل ينقصنا ، وانما مشكلة افتقارنا الى التنظيم والتخطيط ، وبعبارة أدق غياب ارادة التغيير وعزيمة التخلص من التخلف والضياع الذى نكابده ونتجرع مرارته شرا وعلقما ٠ لقد بلغت اللهم فاشهد ٠٠

نهارك أبيض

علي سـالم

وأعضاء الجناح المدنى فى التنظيمات الارهابية معتدلون على ما يبدو ، ولكنك اذا كشفت الغطاء عن أى شخص فيهم فستجد بداخله واحدا من الجناح العسكرى يحمل قنبلة ‥ هم معتدلون فى تطرف ومتطرفون فى اعتدال ‥ يمدون أيديهم ويقبضون فلوس البشر وأرواحهم بأكبر قدر من التطرف ثم يصدرون بياناتهم بأكبر قدر من الاعتدال ٠

استمع لأى عضو فى الجناح المدنى للتنظيمات الارهابية ، ستجده يقول جملة بصوت مرتفع ثم يعقبها بعدة كلمات يقولها همسا لكى لا يسمعها أحد ٠ حضرت ندوة تكلم فيها عضو بارز منهم ، قال بصوت عال ، لا أوافق على أن الرشاشات تصلح وسيلة للحوار ٠

ثم بدأ يتمتم بكلمات أخرى ، قرأت شفتيه ، كان يقول : ولكنى أوافق على أنها تصلح وسيلة للقتل ٠

قرر صديقى أن يخوض معركته ضد الجماعات الارهابية فتظاهر بأنه منهم ، ألقى بالتليفزيون من النافذة ، منع دخول الكتب البيت ، نادى بما ينادون به ، امتنع عن الذهاب الى وظيفته فى وزارة البحث العلمى ، وذات يوم فوجئت به يحمل الرشاش ويقتلنى قبل أن أموت غمزلى باحدى عينيه فعرفت ان ذلك جزء من خطة التمويه ٠

الاحياء الاسلامي المعاصر وضرورة المواجهة

د . جمال الدين محمود
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

لاشك أن الاهتمام العالمى بالاسـلام ـ على الصعيد السياسى والاعلامى ـ يكشف عن الأثر الذى أحدثته حركة الاحياء الاسلامى المعاصر ـ والتى تعد فى بعض البلاد الاسلامية فى المشرق أو المغرب العربى قضية معقـدة وشـائكة من بعض الجوانب ـ لأن الطابع السياسى هو الغالب على حركة الاحياء الاسلامى المعاصر ، كما أن استخدام العنف ضد السلطات أو ضد الآخرين يدخـل فى منهج أو وسائل العمل فيها مما يجعل الصدام مع السلطة حتميا فى كثير من الأحيـان .

ومن ناحية أخرى فقد تنوعت وتعددت مفردات حركة الاحياء الاسلامى بحسب اتجاهاتهـا ووسائلها وأشكالها المشروعة وغير المشروعة ، وساهمت أجهزة الاعلام الغربية والعربية أيضا فى نشر مصطلحات لم يتحدد معنـاها بدقة وتعبر السلطات عن التفرقة بينها . هناك السلفية والتشدد والأصولية وجماعات العنف والارهاب والتيارات الاسلامية فى النقابات والهيئات وفى الأحزاب السياسية

أيضا وكل هذه المفردات تعمل ــ فى الظاهر على الأقل ــ داخل نطاق الاحياء الاسلامى المعاصر أوما يسمى بالصحوة الإسلامية ٠

والحقيقة المؤكدة أن حركة الاحياء الاسلامى المعاصر تكتسب مزيدا من التأييد على مستوى الشعوب الاسلامية ، والحقيقة الثانية ان الوقوف ضدها جملة أو محاولة القضاء عليها يبدو مستحيلا ٠ فهى حركة تكاد تكون دروية فى التاريخ الاسلامى ٠ وتفرزها وتظهرها ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية معقدة ٠ وهى حركة مرحلية بطبيعتها ٠ حتى ولو امتدت لعشرات السنين ٠ ولكن الخطر الذى نواجهه ليس فى الاحياء الاسلامى ذاته ، وانما فى تزايد وتنامى ظاهرة العنف واستخدام القوة ضد السلطات أو ضد الآخرين لأسباب وبواعث اجتماعية لها مظهرها الدينى بين الجماهير ٠ وتزايد ظاهرة العنف الاجرامى فى السنوات الأخيرة يكشف قطعا عن القصور أو حتى الفشل فى التصدى لهذه الظاهرة من جانب المؤسسات التى تتولى التوجيه الدينى والاجتماعى ، فهذه المؤسسات مطالبة بتوفير الوقاية من ظاهرة العنف ، ومنع نموها فى المجتمع وهى تملك وسائل عديدة للقيام بهذه المهمة بنجاح ٠ حتى ولو كانت تحتاج الى مفاهيم وأفكار جديدة ٠ لتحقيق رسالتها ٠ أما المواجهة الأمنية فى اطار القانون فهى بطبيعتها محل اقتناع من الجماهير ، لأن القضاء على العنف واستخدام القوة فى المجتمع هو هدف فى ذاته وهو أول واجبات الدولة للحفاظ على أمنها وعلى حرية أفراد المجتمع ، وفى نطاق هذا الهدف لاقيمة للبواعث أو الظواهر الظاهرة أو الخفية لأى عدوان أو عنف يوجه الى الدولة حريات المواطنين وحقوقهم ، فالشريعة تحمى حقوق الأفراد فى الحياة ٠ وفى حرية الاعتقاد وتحرم التعدى على النفس والمال مطلقا بسبب الاختلاف الدينى أو الطائفى أو العرقى ٠ وهى حقائق واضحة وراسخة من وجهة النظر الأسلامية وتبدو معالجة ظاهرة العنف وما يثيره من

فتنة طائفية فى مصر على أساس أنها مجرد سوء فهم أو جهل بقواعد الاسلام ، يحتاج الى النصح والارشاد والتوجيه الدينى من العلماء المسلمين أو رجال الدين المسيحى نوعا من السذاجة وتبسيط الأمور فضلا عن تعارضه مع معطيات المجتمع المصرى فى العصر الحديث ٠

لقد نشأت حركة الاحياء الاسلامى المعاصر منذ نحو قرن تقريبا وكانت فى بدايتها ذات طابع ثقافى ودينى وساهمت فى توعية الشعوب الاسلامية فى المشرق والمغرب العربى بحقوقها وشاركت فى تحريرها من الاستعمار ، ولم تظهر هذه الحركة عداء للقومية أو للأديان بل تميزت فى مصر بالذات بازدهار الوحدة الوطنية على الرغم من وجود القوى الاستعمارية فكانت مصر مثلا فريدا فى الاخاء القومى والدينى والانفتاح على العروبة وعلى غير المسلمين وفى ذروة الكفاح المصرى ضد الاستعمار ظهرت الوحدة الوطنية فى مصر بصورة كانت محل اعجاب وتقدير على المستوى الدولى ، ويكفى أن زعيما عالميا مثل « غاندى » كان يتطلع الى هذا المثل المصرى فى التسامح الدينى والاخاء الوطنى لتحقيقه فى الهند ٠

ولذلك تبدو الفتنة الطائفية فى مصر أمرا غريبا على المجتمع المصرى وتقاليده السياسية والاجتماعية والدينية ولايكفى فى مواجهة الأحداث المتفرقة التى تصدم مشاعر المصريين لقاءات واجتماعات رجال الدين أو الحديث عن التسامح الدينى حتى يمكن امتصاص مشاعر الحزن والغضب ومنع تصاعد الأحداث ٠ لأن تكرار هذه الحوادث وتتابعها يستهدف تعديل أو تغيير التقاليد الاجتماعية والدينية فى مصر ويستهدف أيضا ربط ظاهرة العنف الدينى والطائفى بحركة الاحياء الاسلامى فى مجموعها ، والوصول بذلك الى اضعاف السلطة الشرعية ووضعها فى مأزق ٠ فهى لاتستطيع

التهاون في شأن الوحدة الوطنية ولاتملك الوقوف ضد الاحياء الاسلامي دينيا وثقافيا واجتماعيا .

والمراجعة ضرورة عاجلة : ان احداث الفتنة الطائفية بعد تتابعها وزيادة حجم العنف في بعض أحداثها تحتاج الى رؤية أشمل والى بحث أعمق عن أسبابها داخل المجتمع المصرى وما يمكن أن يكون سببا خارجيا يرجع الى اضطراب منطقة الشرق الأوسط سياسيا وغموض المستقبل السياسى لبعض النظم فى المنطقة . واعادة النظر فى هذه الأحداث بفكر جديد ليست مسئولية الدولة وحدها . بل يجب أن تشارك فيها أيضا حركة الاحياء الاسلامى بجميع مفرداتها وتياراتها المشروعة والتى تعمل داخل المؤسسات السياسية أو الشعبية أو الثقافية والدينية . ان المراجعة ضرورية للأهداف والغايات والوسائل وأساليب العمل ـ فالفتنة الطائفية فى مصر بالذات ـ بوزنها السكانى والحضارى والاسلامى . تعتبر من أشد الأخطار على حركة الاحياء الاسلامى ذاتها ، فالطائفية كفيلة بهدم جانب من الحضارة الاسلامية يعتز به المسلمون وهو قدرتها على التعايش فى ظل الاخوة الانسانية وقيم الأديان الكتابية . كما ان الطائفية تهدد خصوصية مصر الاسلامية وقدرتها على التأثير الثقافى الاسلامى خارج حدودها ، ولا يمكن لمصر ان تقود صحوة اسلامية وهى ممزقة أو أسيرة لفكر متزمت أو منغلق أو يؤمن بالعنف أو بالانعزال ونفى الآخرين ، ولذلك فان البحث عن أسباب الفتنة الطائفية داخل حركة الاحياء الاسلامى وحدها يبدو غير منطقى ، فهذه الحركة هى أول المتضررين من التمزق الوطنى . وهو كفيل

بالقضاء عليها واستنفار الرأى العام كله فى مصر من المسلمين والأقباط للمشاركة فى ذلك ان المراجعة ضرورية داخل حركة الاحياء الاسلامى أو الصحوة الاسلامية • وهى مسئولية مختلف مفرداتها ورموزها وتنظيماتها السياسية والثقافية والدينية ، والأحداث المحزنة التى يمر بها العالم الاسلامى تدعو الى التعجيل بالمراجعـــة وتصحيح المســـار •

جنــازة المليــون ؟

عبد الستار الطويلة

عدت من رحلة صحفية في الخارج وأنا أشعر بالضيق الشديد لأن الحكومة وأحزاب المعارضة ·· ما عدا الحزب الموالى للتطرف والارهاب · فوتوا الفرصة الذهبية لضرب الارهابيين فى الصميم ·· بعــد ان تزكت أرض مصر بدماء الشهيــد الكاتب والمفكر د · فرج فودة الذى كان يمثل أقوى قوة ضــاربة ضد التطرف والارهاب بين المثقفين فى مصر ··

ولقد كانت الفرصة مواتية لقلب الحياة جحيما ضد التطرف والارهاب ·· فانه اذا أتى اليوم الذى يشعر فيه أولئك المهووسون العبثيون ان كل مواطن فى مصر يريد أن يرجمهم بحجر حتى يكفوا عن محاولاتهم الموتورة لجر الأمة كلها الى الهاوية اذا حدث ذلك فسيلزمون الشقوق والجحور أو يشرق الوعى فى أذهانهم ويدعون الى الدين بالاسلوب الذى دعت اليه الأديان جميعا ·· وتلزمنا به فى ظروف عالم اليوم بديهيات الحضارة والتقدم ·· فلا أحــد فى العالم كله يجرؤ على رفض الدعــوة بل حتى الدعاية للأديان ·· ولا أحد ينكر قط اقتباس أو الأخذ بما جاء فيها من تعاليم تواكب مصالح الانسان ومشاكله المعقدة فى العصر الحديث الملىء بالتناقضات ·· فما يسود العالم اليوم هو مبدأ اطلاق حرية الاعتقاد ··

والدين الاسلامى والمسلمون لهم بصمات راسخة ومعترف بها فى أوربا وأمريكا على تقدم وتحضر مسيرة الانسان ويمكن حتى ادراك ذلك حتى فى الدولة اللا دينية السابقة « الاتحاد السوفيتى » حيث احتلت أسماء معظم علماء المسلمين ومفكريهم العباقرة الساحات والمكتبات الكبرى بطريقة لاتوجد حتى فى أى بلد اسلامى مائة فى المائة .

ولكن كيف يمكن الزام الارهابيين الشقوق والجحور ؟

ان بيدنا ـ حكومة وشعبا وأحزابا ـ سلاح بسيط جدا .. ميسور استخدامه .. فقد كتب عنه الأستاذ ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام مقالا واضحا ، بعد ارتكاب جريمة فودة مباشرة ، وربما كان فى ذلك المقال ما خفف الضيق ، بل الحنق لدى أغلب المثقفين .. اذ دعا . فى بساطة فى مقالة . الى مشاركة الشعب فى مواجهة التطرف والارهاب ..

ولم يقل الكاتب الكبير كلاما عاما .. وانما حدد بالتفصيل دور الأحزاب والنقابات والهيئات والجماعات ، لتكون سندا للأسلحه التقليدية لمكافحة الجريمة .

لقد كانت جنازة د . فودة مهزلة بكل المقاييس .. اذ كيف يمكن ان نسمح فى مناسبة هائلة كهذه ان يمشى ألفان أو ثلاثة آلاف من المواطنين المتحمسين تتصدرهم مجموعة من الكتاب والصحفيين والفنانين والمسئولين .. وهتف البعض . بعض الهتافات . لادانة الجريمة والارهاب ثم تلقت الأسرة العزاء .. وكتب البعض المراثى التقليدية فى هذه المناسبات .. وانفض السامر .. والارهابيون قد حققوا أهدافهم .. ولو كانوا سيضحون بحياة أو حرية واحد أو اثنين ..

ويخفت كل حديث عن الجريمة ·· وينسى الناس الموضوع ·· متى يقرر الارهابيون حتى ينفخون في الصور من جديد لتستيقظ خلية عنقودية أخرى تقتل هذا الكاتب أو ذاك ·· ويدور الحديث عنه حسب وزنه وشهرته وتتكرر المأساة ·· ذلك لأن الذى يتحكم فى عمليات التخويف والترويع والقتل هيعصـــابة الارهاب التى تحدد متى وكيف ولمن توجه الضربة أو الضربات ··

ان أساليب القمع للارهاب لا تكفى ، ولن تكفى بحكم الخبرة التاريخية لكل الأمم والعشوب والدليل واضح جدا ·· من حكاية صغيرة هى حكاية اتهام صفوت عبد الغنى بانه نظم وأدار قتل فرج فودة فهو محاصر حصارا عنيفا ، ومع ذلك يقول وزير الداخلية شخصيا انه استطاع أن يوصل تعليماته لخلية ارهابية فى الزاوية الحمراء بواسطة أحد المحامين الذين يدافعون عنه ··

وللأسف انه لايوجد وزير فى مصر · على تعاقب الحكومات فيها · قد مارس العمل السرى والا لكان المسئولون أدركوا ان من يعملون تحت الأرض قادرون على اختراع وسائل مختلفة لمواجهـــة كل ظروف التضييق والحصار ·

والمشكلة أن التطرف الدينى قد تسرب الى مراكز ومؤسسات فى الدولة ·· حتى باتت صحيحة تلك المقولة التى ذكرها كاتب السيناريو اللامع وحيد حامد ان المثقفين يضربون من جهاز الدولة المتطرف الكامن فى الجهاز الحالى ·

ثم ان تعقد الظروف الاجتماعية والاقتصادية يدفع باحتياطى مستمر يمد جيش التطرف والظلام والارهاب بالمزيد فى كل يوم ·

لهذا ما عادت الاجراءات البوليسية وحـدها تكفى · لقانون الارهاب ولا تعديل قانون الطوارىء كمـــا يدعـو الى ذلك وزير الداخلية ·

انما السلاح الحاسم البتار هو دفع الجماهير المصرية الى المشاركة في المعركة ضد الارهاب ٠

وهذه الجماهير مستعدة ٠٠ ولكن الدولة هى التى « تجنبها » أى تدفع بها الى الوراء بعيدا عن المعركة أصلا ٠

وهو فهم قاصر امتدادا لمفهوم ساد الطبقات الحاكمة فى مصر وفى العالم الثالث احقابا من الزمان لقد كان المستشارون يهمسون دائما فى اذن الحاكم ٠

لاتعتمد على الجماهير فى سياستك لأنها ستشاركك بعد ذلك فى الحكم وصنع القرار وسيمهد ذلك الطريق لوثوب اليسار الى السلطة !

ولكن هذه نظرية عفى عليها الزمن ٠٠ فلم يعد أولا هناك خطر يسارى من أى نوع فى بلد فى العالم بعد فشل اليسار نظرية وتطبيقا فى كل مكان ٠

وأصبح اليوم فى اطار النظام العالمى الجديد للجماهير دور كبير حتى فى مجال المساومات والتوازنات الدولية بعد ، اذ يتجه العالم الى لفظ أسلوب الحرب وأصبحت الجماهير هى سند الحاكم وقاعدته اذا كان ذلك الحاكم لايقف موقفا معاديا للشعب أصلا مثل بعض الحكام الأفارقة ٠٠

ولا أحد يستطيع انكار حقيقة ان السر فى ثبات نظام حسنى مبارك رغم كل الضغوط والتعقيدات المحلية والدولية هو مساندة الشعب له وقد رفض الشعب دائما كل اغراءات البديل الدينى لا مبرر اذن للخوف من الشعب وتحركاته واذا ظل النظام على طريقته الحالية فى مواجهة الارهاب ٠٠ فان كل كتابه ومثقفيه سيسقطون واحدا وراء الآخر أما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بمعنى

ان الخوف على حياتهم سيخرسهم ‥ أو سيدفعهم الى الهجرة خارج البلاد وستستسلم الجماهير لليأس وترفع رأيه التسليم فى النهايه متأثرة بالتضليل والديماجوجية بعد اذ يبدو عجز النظام الفادح عن حماية رجاله من ناحية أخرى وهو جانب أخطر ان التيار المتطرف والارهابى يلجأ الى أسلوب جديد فى تحدى النظام عن طريق الضرب فى مقتل فعلا ‥ وهى سفك دماء أبناء الوطن الأبرياء لمجرد انهم أقباطا محاولا بذلك لابعث فتنة دينية فقط فلن يفتتن الأقباط فى تآخيهم الوطنى مع المسلمين لأنهم يعرفون ان هذه الجرائم كلها ظاهرة العنف الاجرامى فى السنوات الأخيرة يكشف قطعا عن موجهة ضد الشعب المصرى كله وأغلبه مسلمون ومعظم ضحايا الارهاب منهم لكن ما يهدف اليه الارهابيون من اغتيال الأقباط هو تحطيم هيبة الدولة واثبات ان عصابات الارهاب أقوى وأقدر على اثارة العالم الغربى ضد النظام المصرى بحيث نسمع يوما عن محاولات لبعث شعار حماية الأقليات ‥ فيحاول المتطرفون اثارة النعرة الدينية ضد ما يسمونه أحيانا بالزحف أو الخطر الصليبى وهكذا يغرقون الوطن فى دوامات ٠

اذن ما العمل

كان ما يجب عمله عندما اغتيل الشهيد فرج فودة ‥ ان تؤجل الحكومة دفنه ويوضع فى ثلاجة عدة أيام حتى تستعد الحكومة والآحزاب لاقامة جنازة لافى القاهرة وحدها بل فى كل عاصمة ومدينة فى مصر ٠

لا من أجل فرج فودة بل من أجل وقف التطرف والارهاب ٠

فى القاهرة كان يجب تنظيم جنازة من مليون أو مليونين يتقدمها مندوب الرئيس ورئيس الوزراء ورؤساء كل الأحزاب والجماعات والهيئات رافعة شعارات مخدودة ضد التطرف والارهاب ٠

فى كل مدينة تنظم جنازة كهذه يتقدمهـــا المحافظ ورؤساء الأحزاب فيها ..

ان التيار الاسلامى معتدلا كان أو متطرفا يزعم ان الشعب معه وضد الحكومة .

وكانت هذه المظاهرة ضد الارهاب مناسبة لاثبات وهمية ذلك الاعتقاد .

ان الشعب المصرى بعيد عن المعركة ضد الارهابيين ... (*)

.... ولذلك كانت هذه السلبية التى شاهدناها عنما استطاع الارهابيون ان يهربوا فى شوارع بنى ســـويف فى رائعة النهار وعندما أغلقت كل الأبواب فى وجه سائق د . فودة الباسل ما عدا بيت ذلك السفير الشجاع . !

ويشعر رجال الشرطة انهــم منعزلون عن الشعب فعلا وهم يكافحون الارهاب ويتعرضون للمخاطر ولكن الحكومة هى المسئولة عن هذه العزلة وليس أحب الى جماهير مصر من ان تمشى فى الشارع رائعة لافتة مكتوبا عليها نحن مع وزير الداخلية فى مكافحة الارهاب لكن من يسمح لها على أى حال ان الارهابيين مازالوا يمارســون ارهابهم وسيستمرون وبالتالى فالفرص الذهبية لبدء هذه السياسة مازالت موجودة وعندنا ذكرى الأربعين لاغتيال الشهيد فرج فودة .

وعلى الأحزاب والهيئات ان تتحرك فى هذا الاتجاه ومن الغريب ان حزب التجمع تخلو جريدته من الدعوة الواضحة المحددة لحشد الشعب وتحريكه ضد الارهاب وارهابيين هذا التحريك الذى هو الطريق الوحيد لتلافى الكارثة .

(*) غير واضحة فى الأصل .

ونحن نعرف ان ما نقوله ليس أفكارا خارقة نحتاج الى اكتشاف ومكتشفين فهى من بديهيات السياسة ولكننا نعلم ان قوى عديدة تعارض تطبيقها وتضغط وستضغط لعزل الجماهير عن المعركة ضد التطرف والارهابيين ٠

ونقول لكم بصراحة ان هذه القوى هى الاحتيــاطى للتطرف والارهاب داخل الحكم نفسه !

انفجارات الريف ومسئولية الحكومة !

د · عبد العظيم أنيس

من سوء الحظ أن نجد ـ ضمن الحوار الدائر اليوم حول أحداث أسيوط الأخيرة ـ اتجاهين أحدهما يحاول أن ينكر صلة هذه الأحداث بالحالة الاجتماعية الاقتصادية فى مصر عموما والصعيد خصوصا ، والآخر يحاول أن يقلل من أهمية العامل الاقتصادى الاجتماعى عند فهم تلك الأحداث والبحث فى العلاج · والمثال على الاتجاه الأول نجده عند أمين فهيم (الأهرام ١٩٦٢/٦/٢٩) الذى يقول : « وكما أن الطائفية ليست هى السبب فى أعمال العنف البغيض التى نسمع عنها ، فان الحالة الاقتصادية ليست هى الأخرى كما يظن الكثيرون منبعا لأعمال العنف · والمثال على الاتجاه الثانى نجده عند د · عاطف العراقى (الأهرام ١٩٩٢/٦/٢٨) الذى يقول : « من الأخطاء الشائعة التى تتردد على ألسنة المتحدثين وكتاب المقالات محاولة ارجاع التطرف وضرب الوحدة الوطنية الى أسباب اقتصادية · ولا نقصد من ذلك استبعاد الجوانب الاقتصادية التى تتمثل فى عدم توافر فرص عمل أمام الشباب ، بل كل ما نود التأكيد عليه هو وجود أسباب أقوى وأعمق من مجرد الاستناد الى الجوانب الاقتصادية » · وهنا يشير الكاتب الى العوامل الثقافية والاعلامية والتعليمية التى تحتاج الى معالجة صحيحة لتستقيم أوضاعنا ·

ولا يختلف أحد مع العوامل التى يبرزها الكاتب وضرورة المسارعة الى تدارك تلك العوامل بخطة تنويرية صحيحة فى مجال التليفزيون والراديو والصحافة ومناهج التعليم .. الخ . لكن الخلاف يبدأ عندما تعطى لهذه الاعتبارات الأولوية فى برنامج الاصلاح على الاعتبارات الاجتماعية الاقتصادية .

والا فكيف نفسر اندلاع تلك الأحداث المؤسفة فى أفقر أجزاء ريف مصر ومدنها ؟! كيف نفسر وقوعها فى الصعيد وليس الدلتا ؟ وكيف نفسر وقوعها فى ديروط « أفقر مراكز أسيوط الاثنى عشر وأقلها دخلا » كما يقول مندوب الأهرام فى صنبو فى تحقيقه المنشور فى ١٩٩٢/٦/٢٨ . وكيف نفسر الانفجارات المشابهة فى حى « الزاوية الحمراء » بالقاهرة وفى حى امبابة بالجيزة ، وهما من أفقر أحياء محافظتى القاهرة والجيزة ؟

بالطبع هناك ظروف محلية أخرى التجمت مع الوضع الاجتماعى الاقتصادى البائس فأدت الى هذه الانفجارات ، لكننا نخطىء تماما واذا لم ندرك أن هذا الوضع البائس هو الوقود الحقيقى للانفجارات المتتالية فى ريف مصر ومدنها . وليست القضية هى مجرد البطالة ــ على أهميتها ــ وانما هى مجمل الوضع الاجتماعى الاقتصادى بما فى ذلك البطالة والغلاء الفاحش وتدهور الخدمات الأساسية أو انعدامها مثل خدمات التعليم والصحة ومياه الشرب والرى والمجارى ... الخ .

يقول الحاج زهير الفولى عضو مجلس الشعب السابق عن ديروط « مجلة اليسار ــ عدد أول يونيو » : « من جنوب القاهرة حتى الأقصر لا توجد صناعة أو سياحة والأرض لا تكفى والهجرة أصبحت صعبة ، والشباب العاطل لا يجد أمامه سوى المساجد التى يسيطر عليها المتطرفون حيث يعدونهم بعالم أكثر عدلا وجنات تجرى من تحتها الأنهار شريطة أن يبدأوا فورا جهادهم ضد الدولة الكافرة .

ويقول مدير القوى العاملة بأسيوط لمندوب الأهرام « الأهرام ١٩٩٢/٦/٢٨ » : « هناك ثلاثة آلاف سنويا من المؤهلات العليا منذ عام ١٩٨٣ لا يجدون عملا بالاضافة الى ألفين من خريجي المؤهلات المتوسطة ، الأمر الذى يسهل معه تجنيد هؤلاء العاطلين فى صفوف الجماعات الدينية » • ومعنى هذا الكلام أن هناك فى أسيوط منذ عام ١٩٨٣ فقط نحو ٥٠ ألف شاب من حملة المؤهلات العليا أو المتوسطة عاطلين عن العمل لا يلتفت أحد لمساعدتهم • ويشكو أهل قرى ديروط من تدهور حالة رغيف العيش وبيعه فى طوابير طويلة بسبعة قروش لا خمسة كما هو فى مصر كلها ، ويقول أحد أعضاء المجلس المحلى فى صنبو ملخصا الحالة : « الصعيد تقندل بالفقر وكله عايز يهج » •

فى مثل هذه الأوضاع بالغة السوء تبدو الجماعات الاسلامية المحلية وكأنها البديل عن اهمال الدولة لأبناء قرى الصعيد ، خصوصا ان قادة تلك الجماعات يرفعون راية الاسلام ويوفرون من الخدمات المحلية للناس ما يخفف عنهم بؤسهم وعوزهم • فأمير الجماعة فى صنبو « عرفة درويش » الذى قتلته الشرطة فى أحداث الجمعة ١٩٩٢/٦/٢٥ قام بدور المصلح الاجتماعى فى القرية وحل مشاكل المحتاجين باعانات اجتماعية ولحوم فى عيد الأضحى « انظر تحقيق الأهرام فى ٦/٢٨ » •

كما قال شاب آخر أن المسيحيين كانوا يلجأون الى عرفة درويش فى حل خلافاتهم رغم علمهم أنه مدرس لغة عربية ومن خريجي الأزهر وأنه أمير الجماعة فى صنبو •

ان هذه الصورة تجعل البعض يميل الى الاعتقاد بأن ما جرى فى قرى ديروط هو شكل من أشكال الاحتجاج الاجتماعى ضد السلطة ، وان كان قد أسىء توجيهه ضد أعداء وهميين هم الأقباط وهو احتجاج يتمتع بتأييد فقراء هذه القرى بدليل أنهم رفضوا التعاون مع أجهزة الشرطة فى الادلاء بأى معلومات عن القيادات •

لماذا نهتم أن نؤكد أولوية الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية فى فهم أحداث أسيوط وغيرها من الأحداث المشابهة ؟ هل هو مجرد اهتمام أكاديمى ؟

بالطبع لا ، وانما نفعل هذا لسبب واحد هو أنه عند البحث عن مسئولية هذا الذى جرى فان الحكومة تتحمل بعض المسئولية فى هذا تماما مثل الجماعات الاسلامية المتطرفة فى أسيوط ومسئولية الحكومة ، هى انها تركت الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية تتدهور الى هذا الحد ، تركت البطالة تتسع الى هذا الحد والغلاء يستفحل الى هذا الحد ، وسمحت للتعليم والصحة أن يتدهورا الى هذا الحد ، وتخلت باسم « الاصلاح الاقتصادى » عن فقراء هذا الشعب لمصالح انفتاحية وكبار ملاك الأراضى هذا هو الوضع الحقيقى الذى علينا أن نفهمه • ومن المؤكد أن الحكومة قادرة على القضاء على خلايا التطرف الدينى فى ديروط ونتوقع انها سوف تنجح فى ذلك • ولكن ما لم يعالج جذر المشكلة فان الدولة سوف تفاجأ بانفجارات فى قرى أخرى بمحافظات أخرى فى صعيد مصر أو مدنها • ومن السهل أن تتورط الدولة فى التأكيد على الجانب الأمنى فتضيف الى قانون الطوارىء قوانين جديدة ضد الارهاب • ومن الضرورى أن نلتفت الى السموم التى يبثها البعض فى التليفزيون والصحف وأن ننتبه الى السموم الموجودة ضد الوحدة الوطنية فى مناهج التعليم فى الدين والتاريخ خصوصا • ولكن العلاج الحقيقى هو الذى يوفر لمصر قاعدة من الاستقرار السياسى انما يتمثل فى العمل من أجل العدالة الاجتماعية وهو من صميم عمل الحكومة ، وهو أيضا ما أهملته هذه الحكومة والحكومات التى سبقتها باسم الاصلاح الاقتصادى وباعتماد روشتة صندوق النقد الدولى • وها هى الأمم المتحدة تؤكد فى آخر تقاريرها مسئولية

الدولة فى توفير « البنية التحتية والعمل على الاستقرار المالى والنقدى وتوفير الصحة والتعليم وتوزيع الدخل القومى بالعــدل وحمــاية البيئـــة » ٠

ان من سوء الحظ أن تقع أحداث ديروط وبعدها بأيام يوافق مجلس الشعب على قانون جديد للعلاقة بين المالك والمستأجر ، وكأن هذا المجلس لم يدرك شيئا من مغزى أحداث أسيوط ٠

لغـــة التطـرف والارهــاب
بين « تكنولوجيا العداء » و « المبدأ الديمقراطى »

د٠ حسـن وجيه
كليــة اللغــات والترجمة
جامعة الأزهــر

اذا كان ملف لغة الحوار الاجتماعى والسياسى بحاجة الى أن نفتحه من وقت لآخر لنتأمل ونتدارس ما يستجد من أحداث فى اطاره ٠ فان أحداث ما سمى « بالفتنة الطائفية » أو « الارهاب » خاصة بعد اغتيال د ٠ فرج فودة ، لابد وأن تتم دراستها من خلال هذا الجزء من الملف الذى ينبغى أن يتعرض المحلل من خلاله الى تحليل لغــــة الحوار التنارى الذى يعقبه لغــــة اللاحوار أو لغــــة الرصــاص ٠٠٠ وهــذه النوعية من الحوارات يسميها خبراء علم اللغويات الاجتماعى السياسى Bog Fight Discoursp والتعبير بالانجليزية مأخوذ من مصطلحات القتال الجوى حين يحاول الطيارون من خلال تحركاتهم ومناوراتهم المتعددة أن يصلوا الى « ركوب ذيل الطائرة المعادية » حتى تكون فى مرمى نيرانهم ٠

أخشى أن الأحداث الأخيرة المتلاحقة فى مصر تقول أننــا قد بدأنا فى مشاهدة فصول قاتمة من هذا النوع من الحوار المشــابه

لروتين القتال الجوى ... من هنا تنضم الى الصوت القائل ان الأمر جد خطير ومؤسف ويستوجب الهمة والسرعة والعزم والحسم الشديد في مواجهته ، حيث أنه لا ينبغي أن يكون هذا النوع من التفاعل المقيت قائما على أرض مصرنا الحبيبة . أرض التسامح . وملجأ الأمان على مر التاريخ ومن خلال هذا الجزء من ملف لغة الحوار .أود أن ألقى الضوء على أمرين يمثلان امتدادا للحوار الذى بدأه العديد من الأساتذة الأفاضل على هذه الصفحة ، وهما مرتبطان أولا بتركيبة العقلية العدائية مصدرها هذا النوع من الحوار الذى سرعان ما يتحول الى اللاحوار وثانيا « المبدأ الديمقراطى .. وهنا نطرح كيفية التعامل بحسم مع مصادر التطرف والارهاب فى الوقت الذى يحافظ فيه على « سوق طبيعية ومتنوعة للأفكار دون احتكار أو هيمنة » .

أولا ـ « تكنولوجيا العداء » :

المقصود بالتكنولوجيا هنا هى كل تلك الوسائل المتاحة لتجسيد الصورة المنفرة للآخر على كونه « العدو » من قبل العقلية العدائية ... والسؤال الذى ينبغي وأن نجيب عليه ـ فى ظل الأحداث الراهنة ـ هو كيف تمكنت هذه العقلية العدائية من خلق هذا الفيضان الهائل من الشر لدى البعض الى الحد الذى هان عليه أن يطلق الرصاص ويستخدم الجنازير فى تفاعله مع الآخرين بتسرع وسطحية ؟! ... اننى أود أن أستشهد فى هذا السياق بمقولة للفيلسوف المعروف سام كين الذى يقول فى كتابه الهام بعنوان « صورة الأعداء بين الدعاية والحقيقة » أن الأمر يتجسد فى صراع ثلاثة أنواع أصيلة أو صفات رئيسية فى الانسان حيث ان الانسان يتصف أولا : بكونه مخلوقا عاقلا ـ يحاول تعقل الأمور وفهم الدوافع (Homs sa-piens) ويتصف ثانيا بأنه كائن يستطيع صناعة الوسائل التى تساعده على تحقيق ما يفكر فيه (Homo Faber) . وثالثا يتصف الانسان بخاصية العداء أو عقلية

الكراهية التي قد تتملكه في لحظة أو لحظات ماو تجعل قلبه قاسيا لدرجة أن يقترف أبشع الأفعال (Homo hosilis) ••• وهذه الخاصية أو الصفة الثالثة هي التي تمثل المشكلة الحقيقية ••• ويقول سام كين في كتابه أيضا : « أن المشكلة بالطبع هي صفة التعقل ولا في صفة التكنولوجيا (أى صناعة الوسائل) وانما الكارثة تكمن في تلك اللحظات التي يقسو فيه القلب الآدمي • وهذه هي الصفة المزعجة التي توارثها الانسان جيلا بعد جيل ، فاننا في كثير من الأحيان نخلق الأسباب الكافية التي تجعلنا نكره الآخر من بني البشر الى الحد الذي يدفعنا الى تجريده من انسانيته بالكامل في لحظة درامية ما ، وهنا نحاول بشتى الطرق أن نجد كافة المبررات المنطقية أو تلك التي تبدو منطقية في معظم الأحوال والتي تجعلنا الرأى الصائب الذي يبرر تلك الكراهية التي أصبحت تملأ وجداننا • ومن ثم نبدأ في التحرك بدافع الشيطان فتؤكد على أن الآخر المستهدف هو « العدو » الذي يصبح أمر التخلص منه خدمة للانسانية •

مما سبق يمكننا القول بان المشكلة التي تواجهها الآن في مصر لها طبيعة عالمية ، بالاضافة الى الخصوصية الثقافية المتمثلة في هيمنة خطاب الاستبداد والتسلط والتعليم التلقيني وفقدان التآلف العلمي مع تقنيات اقامة الحجج وتفنيدها •• من هنا ومن منطلق معالجة وجهي المشكلة أطالب مرة أخرى بشيء محدد للغاية وهو أن يتم تدريس مادة تسمى لغة التخاطب على كافة المستويات التعليمية اذا كنا بصدد عرض أحد الحلول العلمية والعملية على المدى الطويل كذلك أقترح أن يواكب هذا اعداد برامج اعلامية ناجحة وذكية تتعامل مع نقل رسالة هذه المادة الى الجماهير في وسائل الاعلام لتساهم في حل على المدى القصير لهذه المشكلة المستعصية ، التي تتسبب وسوف تتسبب في كوارث كثيرة اذا لم تتحرك فورا •• فمثل هذه البرامج التعليمية والاعلامية من شأنها

أن تســاهم فى صياغة جديدة للغة الحوار فى عمليــات التفاوض الاجتماعى والسياسى ويكون من شأنها زرع ما يسميه علماء اللغويات الاجتماعية « بالشك الصحى *He gthg Donbt* أى ذلك الشك الذى تزعمه عن الآخر فى محاولة جادة للوصول الى الحقيقة ... أى ذلك الشك الذى يجعلنا نسلك كل الطرق الممكنة ، قبل أن نتهم الآخر أو نكرهه على نحو يتسم بالاطلاقية والتصنيف المتعسف والمتسرع .

واذا كان من الواجب التعــامل مع عقلية العــداء بتركيبها ووســائلها على المســتوى الداخلى ، فان على مصر وفى اطار دورها المتميز على الساحة الدولية أن تتعامل مع « عقلية العداء » خــارج الحدود ... ففى ظل مفهوم « القرية العالمية » حيث أصبح الجميع فى حال تأثر وتأثير متبادل نجد أن أمر التطرف والارهاب الداخلى مرتبط بطريقة أو بأخرى بتطرف وارهاب خارجى .. والمتمثل فى حركة من أسموا أنفسهم بالمسيحية الصهيونية والتى تنادى بهدم الأقصى ومحاربة المسلمين ، جهارا نهارا.. كذلك على الأزهر الشريف وهيئاتنا فى الخارج أن تبذل جهدا مكثفا لتبديد الريبة والشك التى ينظر بها الغرب الى الاسلام وكذلك لتوضيح الصورة الحقيقية للاسلام ، فلقد وصل الأمر بوسائل الاعلام الغربية الى ترديف كلمة ارهابى ـ وعربى ومسلم وهذا ليس فى صالح قضايانا الداخلية والخارجية على السواء .. ولقد لاحظ هذا الأمر العديد من المحللين الموضوعيين أمثال ادورد سعيد كما فى كتابه الهام بعنوان « كيف تصف وسائل الاعلام الغربية الاسلام » وكتاب جاك شاهين بعنوان « العربى على شاشات التليفزيون » وكتاب صموئيل سليمان بعنوان « صورة العرب فى عقول الأمريكيين » .

ثانيا ـ المبدأ الديمقراطى :

المقصود بمبــدأ الجوهر الديمقراطى ، أن تقام فى المجتمع سوق مفتوحة لكافة الأفكار المختلفة ، ويكون على وسائل الاعلام

الدور الرئيسى فى اقامة هذه السوق فى الوقت الذى تعمل فيه على تمكين الشعب من التمييز بين الحقيقة والزيف واعطاء المعلومات الصادقة ، وبالتالى تحقق عملية تنافس الأفكار بنزاهة وعدل ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية الى اختيار أفضل البدائل المتاحة وانتهاج أنسب السياسات الخاصة بموضوع ما .

اذا كان ما ذكرته من تعريف للمبدأ الديمقراطى هو بمثابة تعريف مثالى لهذا المبدأ ، فاننى أود أن أقول ، بأن ما نراه فى مصر من سوق للأفكار من خلال وسائل الاعلام والصحف المختلفة يمثل سوقا للأفكار المتعددة التى لم تشهد منطقتنا مثيلا لها على مدى السنين الماضية . ولابد لأى منصف أن يشيد بما يحدث لأن هذه السوق قد خلقت هامشا ديمقراطيا لا بأس به على الاطلاق وينبغى حمايته والعمل على تعميقه والوقوف فى وجه أى ممارسات يكون من شأنها تحجيم هذا الهامش من هنا أود أن ألقى الضوء على بعض السلبيات التى أعقبت حادثة اغتيال د . فرج فودة والمتمثلة فى ملامح الحوار الذى سرعان ما يتحول الى مرحلة التناحر واللاحوار .. وأقصد هنا تلك المقترحات بمصادرة الكتب والتصنيف المتسرع والمتعسف الذى يتجسد فى حوار أنصار التيارات المختلفة لبعضهم البعض بهدف احتكار الساحة .. فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول د . رفعت السعيد « ان المناخ المتطرف صنعه القتلة الحقيقيون ... التليفزيون الذى لم يزل يمنح الفرصة للبوم كى ينعق بخراب الوطن .. وصحف قومية تعطى الكتاب الدائمين فيها الحق فى امتداح المتطرفين وتمجيد ما يفعلون وتدعو للاعتداد بآرائهم !! » . (الأهالى ١٩٩٢/٦/١٠) .. ان أى محلل منصف لا يتفق مع مقولة د . السعيد ويتساءل على الفور أى يوم ذلك الذى ينعق بخراب الوطن ويمجد أفعال المتطرفين ويمجده التلفزيون والصحف القومية ؟! .. هل هناك أذن من — يخلط بين الفكرة الدينية وبين التطرف !! .

وعلى النقيض لما ذهب اليه د · السعيد نجد ان أحد القادة من التيار ـ الاصولى يتهمون التليفزيون ووسائل الاعلام بأن ممارسات هذه الأجهزة تتسم بالقصور الشديد ، وان ما حدث يقع مسئوليته على الاعلام الحكومى !! · واذا كان فى هذه المقولة ما يمثل نقدا لوسائل الإعلام فى الوقت الذى ندد فيه هذا الطرف باسلوب الارهاب والاغتيال نجد ان أحد الصحفيين فى الصحافة القومية قد قام بتصنيف هذه المقولة على انها « صوت يشجع على الارهاب » ، واذا كان هذا الجزء من تفاعلات النخبة ويتسم بهذا القدر من الاطلاقية والأسلوب التقريرى تارة والتبسيط الزائد للأمور والتصنيف المتعسف تارة أخرى ، فما بالنا بحجم المشكلة على مستوى العامة ! ·· ان هذه الظواهر الحوارية التى تعرضنا لها هى بذرة التحول الى اللاحوار من قبل أطراف الحوار على اختلافاتهم ، · ان هذا الوضع يوضح مدى حاجتنا الى التأكيد على النداء الذى نطرحه ، وهو ان تقوم لجنة من خبراء التعليم المتخصصين ومن الاعلاميين بادخال مادة تسمى بمادة لغة التخاطب فى العملية التعليمية ، وأن يكون لها وجهها الاعلامى فى نفس الوقت فهذا الأمر من شأنه تقويم جذور المشكلة وتدشين صياغة جديدة للغة الحوار الموضوعى الذى يكون من شأنه التعامل الجذرى مع « العقلية العدائية » وكشف وسائل « تكنولوجيا العداء » حتى لا يكون البعض ضحية لها من ناحية ، وحماية وتنمية الاحساس بالمبدأ الديمقراطى على أصول سليمة تتناسب وواقعنا الثقافى من الناحية الأخرى والله ولى التوفيق ·

الهروب من الذاكرة

د. غالى شكرى

أخطر ما يصيب أمة ان تفقد ذاكرتها ، وكان يقال من بعض ملوك مصر القدماء انهم يمحون امجاد اسلافهم المحفورة على المسلات أو الجدران ، ويكتفون بتسجيل أمجادهم حتى يأتى من يمحوها ، وهكذا . وقيل الكلام نفسه عن ثورة يوليو وموقفها من تاريخ الحركة الوطنية السابقة عليها ، ولكن ذاكرة الأمة ليست التاريخ السياسى للحكام ، وانما هى التاريخ الجماعى للشعب ، تاريخ الأرض والناس والقيم ، تاريخ الزراعة والصناعة والثقافة ، تاريخ العلاقات الاجتماعية والضوابط والمعايير ، تاريخ الفنون والآداب والعلوم ، تاريخ اللغة والأفكار والأخلاق والجمال .

وقد أصيب العالم بالذعر فى الحرب العالمية الثانية حين سقطت معظم العواصم الأوروبية الكبرى بين أيدى القوات النازية ، وخاصة العاصمة الفرنسية باريس ، خوفا بل رعبا على منجزات التاريخ الحضارى فى المتاحف والمعارض والمسارح والقصور القديمة والشوارع ذاتها المليئة بالتماثيل والآثار الباقية على الزمان ، ولم يكن مصدر الرعب سوى الخوف على الذاكرة من الضياع ، اللوحات والمنحوتات والمخطوطات والعمارات من قبيل التجميل والزخرفة والزينة ، وانما هى الصائغ العقبرى لجواهر

التاريخ بخيره وشره فليست الجواهر سوى المعادن الثمينة على اختلافها سواء أكانت تاجا لامبراطور طاغية أو فاسا بيد فلاح بسيط ، قصرا لاحدى غانيات العصر أو مخطوطا لقصيدة شاعر مجهول ٠

ليست الذاكرة اذن كتابا أو عدة مجلدات فى التاريخ يقرأها الخاصة من أهل العلم ، وانما هى خطاب الزمن الممتد فى الاغانى الريفية العتيقة وأفلام السينما الحديثة ، فى الموسيقى الشعبية والعادات والتقاليد والمعتقدات وقواعد السلوك وكل ما تدركه الحواس بدءا من الميراث البصرى الى ميراث الاذن الى ميراث العقل والوجدان ، لذلك تعددت أدوات صنع الذاكرة فى البلدان المتقدمة ، فهى لاتقتصر على المتحف والارشيف والمكتبات الوطنية يرتادها المتخصصون فى البحث العلمى أو السياح ، وانما هى تتجاوز ذلك كله الى برامج التعليم فى مراحله الأساسية الالزامية والمنتديات العامة والخاصة وبرامج الاعلام المختلفة والمؤسسات حتى الطرقات ووسائل النقل ومحطات المترو والسكك الحديدية أسماء هذه المحطات والشوارع والقرى والمدن ، واللوحات الجدارية والموسيقى والمكتبات الصغيرة أو السريعة كما يسمونها ومسارح الاحياء والحدائق العامة تملأ « فراغ » المسافر ، المقيم والعابر ، والشروح الصوتية فى المعارض ، كلها تشحن الذاكرة وتجدد شبابها ، تشترك فى ذلك الدولة والاهالى والشركات والاحزاب السياسية والنقابات والاتحادات والروابط لا تتدخل الايديولوجيا فى بناء الذاكرة الفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية أو الايطالية أو الأمريكية لا أحد يستنكر تاريخه بكل ما فيه من بطولات ونذالات ومن فضائل ورذائل ، ولا أحد يحتكر معانى أو رموز التاريخ أو يزعم ملكيته « لحقائق » التاريخ وقائع التاريخ مشتركة ، أما التأويل والتفسير فحق مطلق للجميع ٠

والى وقت قريب كانت مصر ، بالرغم من كل ما يقال عن

ملوكها ، واحدة من أهم الأقطار التى تعنى ببناء ذاكرتها ، فهى البلد الذى حافظ على كنوزه الحضارية التى تمثل التاريخ للشعب المصرى على مدى العصور ، بقيت لنا مصر الفرعونية ومصر اليونانية الرومانية ومصر القبطية ومصر العربية الاسلامية فى « كل » واحد متفاعل مع بعض بعضا ربما لا تملك التكنولوجيا الحديثة والادارة الحديثة التى تساعدنا فى حفظ الذاكرة فضلا عن بنائها ، ولكننا حرصنا دوما وفى ظل أصعب الظروف كالاحتلال والحروب والفقر ـ على حماية الذاكرة الوطنية من خلال الفقدان ٠

ولكن الذاكرة ، كما احب أن أكرر ، ليست التاريخ المكتوب ، أو « المحفوظ » فى الاضابير والملفات فقط ولا هو « التراكم » السردى للحوادث ، فهناك مصفاة داخلية فى العقل الجمعى لا تبقى على غير التاريخ الحى باعتباره حياة مستمرة وليس « آثارا » من الماضى تكفنها المتاحف والمكتبات خلف أسوار زجاجية ٠

وهناك شواهد مهمة بالرغم من بساطتها على أن هذا « التاريخ الحى » الذى ندعوه بالذاكرة الوطنية يتعرض منذ وقت للتبدد من الخيال العام ، ولا أقول من الرأى العام ، ففى برنامج تليفزيونى لم يتمكن المواطنون بدرجاتهم الاجتماعية والثقافية المختلفة (طلاب وعمال وموظفون وتجار ومزارعون) من التعرف على بعض الرموز والوقائع فى بيئتهم التى يعيشون فيها ، كأحمد عرابى وأدهم الشرقاوى ومأساة دنشواى وسعد زغلول ، وفى استفتاء مطول تجربة جريدة « الأهالى » بين عينات مختلفة من الجيل الذى ولد منذ ربع قرن ـ بمناسبة ذكرى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ لم يتعرف الشباب على أبسط الوقائع والأشخاص ، وبدت الاجوبة أحيانا كما لو ان هذا الجيل قد ولد فى كوكب المريخ ، حالة من الغيبوبة الكاملة ، وفى امتحان شفوى عقدته احدى المؤسسات ، وتقدم اليه مئات من الجامعيين لم يفرق بعضهم بين محمد على مؤسس مصر الحديثة وأحد التجار فى شارع الموسكى ، ولا بين قصر المنتزة فى

الاسكندرية وكازينو قصر النيل ، ولا بين سيد درويش الفنان العظيم والصحفى القديم عبد العزيز جاويش ، ولا بين مصطفى مشرفة عالم الذرة ويونس شلبى الممثل المعروف ٠

وليست هـذه الا أمثلة مما آلت اليه الذاكرة الوطنيـة من ضعف ، تحولت خلاله ثقوب المصفاة التى تمزقات واسـعة سقطت منها « الجواهر » التى صنعت المعدن الثمين للشعب المصرى ٠

ولا تقتصر الذاكرة بالطبع على « المعرفة » وانما تتجاوز ذلك الى السلوك ومنظومة القيم ، وكل ما يندرج فى باب « الوعى » لذلك فان هناك خطرا متزايدا على ذاكرة الأمة لأن محوا تدريجيا قد طرأ عليها من جهة ، ولأن سطورا أخرى لابد انها تملأ « الفراغ » ٠

هذه السطور من شأن بعضها ان نقيم الحواجز حينـا بين عصر وآخر وبين مصر وأخرى ، ومن شأن بعضها الآخر ان تخترع تاريخا لا وجود له ، ومن شأن بعضها الثالث ان ترتب الوقائع على نحو يخدم الايدولوجيا أو السياسة ، فتحذف وتضيف وتعدل ما شاءت لها الايديولوجيا والسياسة ٠

والضحية الأولى فى ذلك كله هى مصر ذاتها ، عقلا ووجدانا ، أرضا وانسانا ٠٠ ذلك ان تمزق الذاكرة هو فى خاتمة المطاف تمزق الوطن الواحد والشعب الواحد ، انها على هذا النحو تضرب فى جذور الوحدة الوطنية ، لا بين أقبـاط ومسـلمين فحسب ، بل بين مختلف الخيوط التى يتكون منها نسيج هذا الشعب فالذاكرة الوطنية أداة التوحيد الأولى ، وفقدانها ــ لا قدر الله ــ يهدد الوطن فى الصميم ٠

وليست السموم البيضاء الا هروبا فرديا من الذاكرة الشخصية أما السموم السـوداء التى ينتهى مدمنوها الى العنف والارهاب ، فانهـا تشيع مناخا يحرض على الهروب الجمـاعى من ذاكـرة الوطن ٠

فاذا ما اتجهنا الى السنة النبوية المطهرة ، وجدنـا كثيرا من الأحاديث النبوية ، قد فصلت ما جاء مجملا فى القرآن الكريم بشأن فضيلة الأمر بالمعـروف والنهى عن المنـكر ، وبينت أن المسئوليـة مشتركة بين أفـراد الأمة كل فى حدود طاقتـه وقدرته وولايتـه ، بالنسبة لجلب الخير لها ، ودفع الشر عنها . ومن الأحاديث التى تدل على ذلك دلالة واضحة، ما أخرجه الامام البخارى فى صحيحه ، عن النعمان بن بشير ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا ـ أى : اقترعوا ـ على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلهـا اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهـم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهـم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخـذوا على أيديهم ـ أى : منعوهم من الخرق ـ نجوا ونجوا جميعا » .

واذا كانت المداومة على أداء فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من كل فرد فى الأمة على حسب قدرته وولايته ، تؤدى الى الخير والرقى ونشر الفضائل ، فان تركها واهمالها مع القدرة عليها ، يؤدى الى الشقاء والتعاسة وشيوع الرذائل .

ويكفى ان القرآن الكريم قد بين لنا ان من أسباب اللعنة التى حلت ببعض الأمم ، تركهم لهذه الفضيلة ، واستمع الى قولـه ـ تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ـ أى : كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ارتكاب المنكرات والفواحش ـ لبئس ما كانوا يفعلون » (سورة المائدة : الآيتان ٧٨ ، ٧٩) .

ويكفى ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بين لنا ان من الأسباب التى تؤدى الى نزول العذاب ، والى عدم اجابة الدعاء ،

اهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد روى الامام الترمذى فى سننه ، عن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » ·

وقد يسأل سائل فيقول : كيف نجمع بين هذه النصوص التى تحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبين قوله تعالى : « يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » (سورة المائدة : الآية ١٠٥) ·

والجواب عن ذلك : انه لاتعارض بين هذه النصوص وبين هذه الآية ، لأن هذه الآية الكريمة مسوقة لتسلية المؤمنين ، ولادخال الطمأنينة على قلوبهم ، اذا لم يجدوا اذنا صاغية لدعوتهم ·· فكأنها تقول لهم : يا من أمنتم بالله حق الايمان ، انكم اذا قمتم بما يجب عليكم ، لايضركم تقصير غيركم ، ولاشك ان مما يجب عليهم القيام به : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اذ لا يكون المرء مهتديا الى الحق مع تركه لفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وانما يكون مهتديا متى أصبح نفسه ودعا غيره الى ذلك ·

ويبدو ان هذه الآية قد فهمها بعض الناس فهما غير سليم ، حتى فى الصدر الأول من الاسلام · فقد جاء فى سنن داود والترمذى عن قيس بن أبى حازم قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : أيها الناس ، انكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » ·

ولقد حكى لنا القرآن الكريم ، ما يدل على ان الناس بالنسبة لموقفهم من غشيان المنكرات ، ينقسمون الى ثلاثة أقسام : قسم يرتكب المنكر بدون تحرج أو تردد • وقسم لا يرتكب المنكر ولكنه يسكت أمام مرتكبيه • وقسم يتنزه عن ارتكاب المنكرات وينهى غيره عن ذلك •

وهذه الأقسام الثلاثة نراها فى قصة حكاها القرآن فى قوله تعالى : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت ، اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لاتأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون • واذ قالت أمة منهم ، لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون • فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » (سورة الأعراف : الآيات ١٦٣ ــ ١٦٥) •

وملخص هذه القصة ان قوما من بنى اسرائيل كانوا يسكنون بقرية « ايلياء » على ساحل البحر ، وهؤلاء القوم أخذ الله عليهم عهدا بأن يتفرغوا لعبادته فى يوم السبت ، وحرم عليهم الاصطياد فيه دون سائر الأيام ، واختبارا منه سبحانه لايمانهم ارسل لهم الحيتان فى يوم السبت دون غيره •• وهنا سال لعاب اطماعهم ففكروا فى حيلة لاصطاد هذه الحيتان فى يوم السبت ، فحفروا احواضا تنساب اليها المياه ومعها الأسماك ، ثم تترك محبوسة فى الأحواض يوم السبت ، ثم يصطادونها بعد ذلك ••

ولقد نصحهم الناصحون بأن عملهم هذا هو احتيال قبيح على محارم الله ، ولكنهم صموا آذانهم عن النصح ، فقال الساكتون عن المنكر للناصحين : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا » فأجاب الناصحون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر الساكتين عن ذلك بقولهم : « معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون » أى

قالوا لهم ننصحهم لنؤدى ما أمرنا الله به ، ولعلهم بسبب هذه النصيحة يتقون .

فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة ان نجا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وان هلك الظالمون المعتدون . أما الذين لم يرتكبوا المنكر ولكنهم سكتوا عن مرتكبيه وآثروا السلامة ، فقد أهمل القرآن مصيرهم ، وفوض أمرهم الى الله تعالى .

(أ) والذين يتصدون للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يجب أن تتوافر فيهم صفات معينة ، من أهمها : العمل بما يقولون ، فقد ذم الله ـ تعالى ـ قوما يقولون ما لا يفعلون فقال : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا ـ أى بغضا وخسرانا ـ عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » (الصف : ٢ ـ ٣) وقال فى الآية أخرى : أتأمرون الناس بالبر ـ أى : بالخير والفضائل ـ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (البقرة : الآية ٤٤) .

(ب) الاخلاص فى النصح ، والموضوعية فى العرض ، بمعنى أن يقصد المرء بقوله وعمله وجه الله ، وخدمة دينه ، وخدمة الأمة جمعاء لا خدمة فرد أو هيئة أو حزب ، وأن يكون عادلا فى عرضه للقضايا التى يتحدث عنها ، فلا يحابى ولا يتحامل تبعا لهواه ومنفعته الشخصية ..

(ج) العلم بصحة ما يأمر به أو ينهى عنه ، فكم من أناس لجهلهم ، أو لسوء نيتهم أو لحماقتهم ، يتحدثون عن الأمور القابلة للاجتهاد على أنها فرائض ، ويتحدثون عن الفرائض على أنها سنن ، ويهملون الحديث عن المصالح العامة للأمة ويخوضون فيما ليس لهم به علم ، ويحسبون ذلك هينا ، وهو عند الله عظيم ، لأن خوضهم فيما لا علم لهم بحكمه التشرعى يؤدى الى فتنة وفساد كبير .

(د) الرفق واللين ، فان الرفق خير كله ، وما كان فى شىء الازانه ، وما فقد من شىء الا شانه ومن أعطى الرفق أعطى خيرا كثيرا ، والكلمة الطيبة الرقيقة تنفع مع الأصدقاء لأنها تزيد من صداقتهم وتنفع مع الأعداء لأنها تخفف من حدة عداوتهم ...

ولقد أمر الله ـ تعالى ـ موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ أن يترفقا مع فرعون الذى قال لقومه « ما علمت لكم من اله غيرى » ، فأوصاهما ـ سبحانه بقوله : « اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » (سورة طه : الآيتان ٤٣ ، ٤٤).

ورسم ـ سبحانه للدعاة ـ فى شخص نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحكم الطرق فى الدعوة الى الحق فقال : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (سورة النحل : الآية ١٢٥) .

والخلاصة أن الأصل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يكون بالرفق واللين ، والحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن ..

فاذا لم ينفع كل ذلك مع الطغاة والبغاة والسفهاء فلا بأس من استعمال الشدة فى القول ، مع التزام الحق والعدل ، وحسبنا أن القرآن الكريم قد قال فى شأن السادرين فى ضلالهم المصرين على كفرهم وفسوقهم : « ولقد ذرأنا ـ أى : خلقنا وأوجدنا ـ لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (سورة الاعراف : الآية ١٧٩) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له درجات ، حددها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحديدا دقيقا حكيما فى حديثه الصحيح ، الذى أخرجه الامام مسلم

بسنده عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

فأنت ترى فى هذا الحديث الذى يعد من جوامع كلام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحديدا واضحا لمراحل تغيير المنكر ، متى رآه أو علمه المكلف القادر على تغييره .

وأولى هذه المراحل : التغيير باليد . بمعنى ازالة المنكر بالقوة ، أو بما يشبه ذلك من الوسائل المشروعة وتغيير المنكر باليد ، واجب على أولى الأمر بصفة خاصة ، وواجب على الأفراد كل فى حدود ولايته بصفة عامة .

ونقصد بأولى الأمر : الحكام أو من ينوبون عنهم فى رعاية مصالح الأمة وحماية أمنها وآدابها ، وكل ما يوصل الى استقرارها ورقيهـا .

فمثلا ، من الواجب على الحكام ، التصدى بالقوة لكل الذين يعملون على اشاعة الجرائم والرذائل والفتن فى الأمة ، وتقديمهم الى الهيئات القضائية ، وتنفيذ العقوبات التى تصدرها هذه الهيئات بشأنهم . وعلى الأفراد ان يسـاعدوهم فى ذلك ، عن طريق عدم التستر على المجرمين ، وعدم كتمان الشهادة الحق ، وعدم الاتيان بأى قول أو فعل يفضى الى ما فيه ضرر بالفرد أو الجماعة .

ونحن نرى فى تاريخ الأمة الاسلامية ، ان نظام « الحسبة » ـ بكسر الحاء ـ كان متوافرا فيها . والحسبة ـ كما جاء فى المعجم الوسيط ح ١ ص ١٧١ ـ : منصب كان يتولاه رئيس يشرف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار ، وحماية الآداب . والمحتسب : من كان يتولى هذا المنصب من جهة الدولة .

وكان من حق من يتولى هذه الوظيفة ، أن يتدخل لحماية الناس من الظلم والغش والتطفيف فى المكيال والميزان ، ... وغير ذلك من المنكرات والرذائل ، كما كان من حقه ـ أيضا ـ احالة كل متلبس بجريمة ما ، الى القاضى للفصل فى شأنه ·

وفى عصرنا هذا نرى ما يشبه نظام الحسبة قائما ، ففى مصر ـ مثلا ـ أجهزة متعددة لوزارة الداخلية ، منها ما يتعلق بحماية أمن الناس وأموالهم وأرواحهم ، ومنها ما يتعلق بحماية الآداب العامة ، ومنها ما يتعلق بمكافحة المخدرات والمسكرات · ومنها ما يتعلق بصيانة الأموال العامة من الاعتداء عليها عن طريق التهرب الضريبى وغيره ، الى غير ذلك من الأجهزة المتعددة والمتنوعة ، والتى وظيفتها الأساسية ، غرس روح الأمان والاطمئنان فى المجتمع ، والقبض على المنحرفين والمجرمين والمفسدين ، واحالتهم الى الهيئات القضائية ، للفصل فى شأنهم ، وانزال العقوبة العادلة بهم ...

أما تغيير المنكر باليد بالنسبة للأفراد ، فأمر مقرر لكل فرد فى حدود ولايته وسلطته · فالآباء والأمهات من الواجب عليهم أن يهتمون بتربية أبنائهم ، وأن يعملوا على تنشئتهم تنشئة صالحة ، وأن يؤدبوهم اذا ما أنحرفوا عن الطريق القويم ·

ففى الحديث الشريف : « علموا أولادكم الصلاة وهم فى سن السابعة ، وأضربوهم على تركها وهم فى سن العاشرة ، وفرقوا بينهم فى المضاجع والأزواج من الواجب أن يعاشروا زوجاتهم بالمعروف ، وان يعاملوهن معاملة تقوم على المودة والرحمة ، وان يؤدبوهن اذا ما ارتكبن ما يوجب ذلك قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء ـ أى يقومون على شئون النساء بالرعاية والتأديب ـ بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن ـ أى أعصيانهن وخروجهن عما تقتضيه الحياة الزوجية من آداب ـ

فعظوهن،واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا » (سورة النساء : الآية ٣٤) .

ومن الواضح وضوح الشمس ان الخطاب هنا للأزواج ، فهم الذين يعظون زوجاتهم بالقول الطيب ، وهم الذين يقومون بالهجر في أماكن النوم وهم الذين يضربون زوجاتهم ضربا غير مبرح عند النشوز وارتكاب المعاصي ..

وهكذا نجد أن شريعة الاسلام قد حددت تحديدا دقيقا من يملك تغيير المنكر باليد ، فقررت أن ذلك موكول الى الحكام أو من ينوب عنهم ، أو الى الأفراد في حدود ولاية كل فرد وسلمته ومسئوليته .

ولا يصح شرعا أن يخرج تغيير المنكر باليد عن هذا التحديد ، لأنه لو خرج عن هذا التحديد فأباح كل فرد لنفسه ما ليس من حقه، لعمت الفوضى ، وانتشر الفساد والاضطراب ، ولتستر كثير من الناس باسم تغيير المنكر فاعتدوا على غيرهم ، ولما كان هناك مقتض للسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية مع ان ذلك من مستلزمات صيانة مصالح الأمة ، وحماية أمنها ، ولما وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يحدد تلك الدرجات الثلاث في تغيير المنكر ، مع انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد حدد ذلك تحديدا دقيقا ولم يكتف بتغيير المنكر باليد . وفضلا عن كل ذلك فاننا لم نسمع ولم نقرأ ، لا في العهد النبوى ، ولا في عهود الصحابة . ولا في العهود التى تلت ذلك ، ان هناك جماعة نصبت نفسها بدون اذن من ولى الأمر في الأمة ، لكي تغير المنكر باليد على حسب هواها وتنفذ العقوبات التى تراها ، وانما تغيير المنكر باليد يكون من حق الحكام ، ومن حق كل فرد في حدود ولايته ومسئوليته وسلطته أما التغيير باللسان للمنكر وهو الدرجة الثانية ، فمن وظيفة العلماء الذين يعرفون ما هو حلال وما هو حرام ، وما هو منكر وما هو غير منكر ، وما هو فرض وما هو

وما هو سنة ... ومن وظيفة كل فرد ـ أيضا ـ ولكن فى حدود علمه وفقهه تيقنه بأن هذا الأمر خير وهذا الأمر شر ...

ويدخل ـ أيضا ـ تحت تغيير المنكر باللسان ، ما تنشره الصحف ووسائل الاعلام من مقالات فى هذا الشأن ، وما يقوم به خطباء الجمعة فى خطبهم ، وما ندوات ومحاضرات تعمل على نشر الوعى الدينى السليم ، وبيان ما هو حلال وما هو حرام .

فاذا ما عجز الفرد العادى عن تغيير المنكر باليد أو باللسان ، لجأ الى الدرجة الثالثة ، وهى تغييره بالقلب ، بمعنى كراهته لهذا المنكر ، ومقاطعته لمرتكبه ، وتهوينه من شأنه ، وعدم مجالسته أو مخالطته أو التعامل معه ..

وقد أمرنا القرآن الكريم فى آيات متعددة بمقاطعة المصرين على ظلمهم وغشيانهم للرذائل والمنكرات ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » (سورة هود : الآية ١١٣) .

وقوله سبحانه ـ : « واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » (سورة الأنعام : الآية ٦٨) .

ولاشك ان مقاطعة العقلاء للمصرين على ارتكاب المنكر ، لها أعظم الأثر فى ازالة هذا المنكر والقضاء عليه واذا أخذ المسلمون بهذه الأحكام السديدة ، وفهموها فهما سليما ، وطبقوها تطبيقا صحيحا ، عاشوا آمنين مطمئنين ، وفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ...

الفهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٤٢٤٧

ISBN — 977 — 01 — 3352 — 3

المواجهة

بلغت مؤامرات التطرف والارهاب فى مصر معدلات غير مسبوقة خلال السنة الأخيرة . ولم تعد هذه الظاهرة مجرد تهديد للدولة والنظام الحاكم ، بل أصبحت تهدد المجتمع المصرى كله ، سواء فى بنيته الداخلية أو فى اقتصاده أو أمنه الاجتماعى والسياسى ومكتسباته الثقافية والفكرية ، وكذلك انجازاته الاقتصادية والمادية . ولا تقل الحرب التى يشنها المتطرفون والارهابيون ضراوة عن أى حرب خاضتها مصر مع أعدائها الخارجيين فى هذا القرن . بل ربما كانت هذه الحرب أشد ضراوة ، لأن أحد أطرافها هم أبناء لنا ، أعماهم التطرف : فاختاروا العنف سبيلا لفرض إرادتهم وزعزعة استقرار الوطن : واستهدف عنفهم أبناء لنا فى أجهزة الأمن ، أو أخوة لنا من المدنيين المسالمين العزل ، مسلمين وأقباطا.

ان ما تمر به مصر الآن هو ماساة إنسانية وثقافية وحضارية ، وكارثة إقتصادية وسياسية ولذلك أصبح من الضرورى أن ينتفض المثقفون المصريون ، ومؤسسات مجتمعهم المدنى ، للوقوف فى وجه التطرف والا لمحاصرتهما واحتوائهما ، تمهيدا لاقتلاعهما تماما .

من أجل هذا تصدر الهيئة المصرية العامة للكتاب بيت المث المصريين هذه السلسلة للوقوف أمام هذه الظاهرة بالفكر المستنير وا الحق الشريفة .

25
25
3
0522449



٢٥ قرشا

الغلاف للفنان : محمود الهندى